

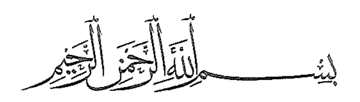
"لمحات من الذكريات"

عبدالعزيز بن عبد الله الخويطر

الجزء التاسع

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

فهد الدهمش



وسم على أديم الزمن

«لمحات من الذكريات»

(في بريطانيا)

وسم على أديم الزمن

«لمحات من الذكريات»

(في بريطانيا)

الجزء التاسع

تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الخويطر

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

ⓗ عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله

وسم على أديم الزمن (لمحات من الذكريات) - الجزء التاسع./

عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر. - الرياض، ١٤٢٨هـ.

٣٧٦ ص، ١٦ × ٢٢,٥ سم

ردمك: ٧ - ٤٠٩ - ٥٧ - ٩٩٦٠

١ - الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله - مذكرات أ - العنوان

ديوي ٨١٨,٠٣٩٥٣١ ١٤٢٨/١٦١٠

رقم الإيداع: ١٤٢٨/١٦١٠

ردمك: ٧ - ٤٠٩ - ٥٧ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

مُقَدِّمَة

هذا هو الجزء التاسع من «وسم على أديم الزمن»، وهو عن حياتي في لندن، وبعض مراحل دراستي للدكتوراه فيها، استمراراً لما بدأته عنها في الجزء الثامن.

وهذا الجزء اقتصر على السنتين الميلاديتين: ١٩٥٤ و ١٩٥٥م، وبدء العام الأول كنت فيه في مقامي في لندن على حساب الوالد، إلى أن قبلت نهائياً في جامعة لندن للدراسة لدرجة الدكتوراه في قسم التاريخ في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية (S. O. A. S)، والمشرف على رسالتي كان البروفيسور الدكتور برنارد لويس في أول الأمر ثم أعقبه غيره بعد أن ترك

إلى أمريكا، فانضممت للبعثة.

وفي هذا الجزء إيضاح للخطوات التي اتخذتها والتي اتبعتها للالتحاق بالبعثة الرسمية، والإجراءات التي مرت بها معاملة الالتحاق، ومن ساعد فيها، وصلتي الطيبة بالسفارة ومن فيها، وعلى رأسهم الشيخ حافظ وهبة رحمه الله السفير، والشيخ عبدالرحمن الصالح الحليسي، السكرتير الأول في السفارة، وجئت في هذا الجزء على ما للشيخ عبدالرحمن من أفضال عليَّ لا تحصى - جزاه الله خيراً.

وفي هذا الجزء بعض التفصيل عن جوانب دراستي وما كان منها في صلب الهدف، وما كان منها جانبياً مثل الدراسة لمعادلة الشهادة التي أحملها، وقد أخذ ذلك سنة كاملة، وبجانب هذا دراسة بعض اللغات

التي لابد منها للاستفادة من المصادر المكتوبة بها، ومنها الفرنسية والإيطالية، وبعض الرحلات التي قمت بها لمظان المراجع مثل المكتبات الوطنية العامة.

وستختص بعض الصفحات في هذا الجزء بالتعريف ببعض المدرسين وبعض الزملاء، مما وجدت أن الصورة لا تكمل إلا به، وقد حاولت أن أرسم الجو الدراسي مع بعض المدرسين حتى يكون هناك إطار للمعلومات الأولية التي آتي بها، أما الزملاء فلهم أثر كبير في حياتي اليومية، وهم جزء مهم، سواء في اجتماعي بهم في الكلية أو خارجها أو في البيت أو في المنتزهات.

وألمحت إلى بعض الزوار الذين يأتون إلى انجلترا لأغراض مختلفة بعد أن انتهت الحرب وسهل أمر

السفر إلى البلدان البعيدة التي كانت قبل سنوات تعد في بُعد الثريا، وهذا يؤرخ لبدء فترة من الزمن لها صفتها وتميزها، ولها تمهيدها لما سوف يأتي بعدها مما لم يكن يتوقع في نوع التطور والنمو الذي جاء به، أو في السرعة إلى أن وصلنا بها إلى ما نحن فيه الآن.

والجو كان له نصيب وافٍ من الحديث، ويكاد يكون يوماً بيوم. والجو في كل بلد شغل الناس الشاغل إن كان في البلدان الباردة فالحديث المتكرر هو عن البرد، وإن كان في البلدان الحارة فهو عن الحر.

وفي انجلترا الحديث عن الجو هو مفتاح الحديث بين المتعارفين، ومن يريد أن يتعارف، فهناك كلمة: «ما أبرد الجو اليوم!»، أو «ما أسوأ الجو!» أو «ما أدفأ الجو!»، أو «يبدو أن الجو سوف يكون مشمساً» أو

«ممطراً!».. جمل تتكرر، واصفة الجو، وما هو عليه، أو متنبئة بما سوف يكون عليه، أو متأسفة على ما كان منه مما لم يدم طويلاً.

وأمور الجو لا تخرج عن: البرد أو الشمس والدفء أو الجليد، أو الصقيع، أو الضباب، أو العواصف، ولهذا فالنشرة الجوية مهمة، والتنبؤ بها ونشرها محل ملاحظة ومتابعة، وكثيراً ما تخلف الظن، ويكون ذلك مأتى تذمر، واهتزازاً في الثقة.

وظهر في هذا الجزء شيء عن الإجازات سواء الأسبوعية أو الشهرية أو السنوية، وتؤدي الإجازات دوراً مهماً في حياة الناس، وكما يتوقع تتدخل في عملهم وصلاتهم وفي المواصلات، إما خفة أو ازدحاماً، وتكون خفة فيما عرف فيه الازدحام، أو ازدحاماً فيما عرف

فيه قلة الازدحام، وأهم هذه المواصلات حافلات الركاب العامة، والقطارات العامة، وقطار ما تحت الأرض، ولابد أنه يحدث لذلك صدى اقتصادي يلمس حياة الناس المعيشية بطريقة أو أخرى.

قيادة السيارة أمر جذاب ليس للصغار فقط؛ ولكنه للشباب، لما فيه من تحد لتطويع هذا العملاق، وللكبار لما فيه من فائدة لهم ولأهلهم ومنفعة، لهذا شغل ذهني أمر تعلم قيادة السيارة، ولم أهنأ إلا بعد أن التحقت بمدرسة لتعليم القيادة على أصولها، ومشيت في الأمر خطوة خطوة، جربت أولاً الإخفاق في اختبار القيادة، ثم النجاح في الاختبار الثاني، وبه حصلت على الشهادة، وكان إنجازاً أراح الذهن، وزرع الثقة، وأصبحت نظرتي إلى سبر السيارة يختلف الآن عما

كانت عليه من قبل، فصرت إذا ركبت السيارة مع أحد أعرف مدى إجادته للقيادة، وألحظ بسهولة ما قد يرتكب من أخطاء، أو ما قد يرتكب تجاهه من سائق آخر، ومنذ أن حصلت على رخصة السيارة عددت كل ركوب لي في سيارة هو تثبيت لما تعلمته، أو إضافة جديدة جاءت نتيجة التضاريس التي لم يسبق أن مررت بها أيام تمريني.

إن وجود شخص في بلد أهلها يتكلمون لغة تختلف عن لغته تجعله محط الرحال لمن يأتي من بلاده طلباً للعلاج أو للنزهة، أو لعمل ما، وقد حظيت في هاتين السنتين بالتعرف على عدد من الأشخاص أتيت على ذكر أسمائهم، وأضفتهم إلى قائمة الأصحاب أو المعارف المقدَّرين.

في هذا الجزء جئت على ذكر دخول تعديل على السفارة، فقد نقل الأخ الشيخ عبدالرحمن الحليسي سفيراً في السودان، وحلّ محله سكرتيراً أول السيد عمر سقاف، وانضم للسفارة سكرتيراً ثانياً الأستاذ عرب هاشم، وتوطدت العلاقة معهما ومع غيرهما ممن انضم مثل الأخ الحبيب حسن رضوان.

في هذه السنة قمت برحلة صيفية طويلة نوعاً ما إلى مدينة «تور» الفرنسية، للتقوّي في اللغة الفرنسية، في معهد متخصص بتعليمها هناك، وكانت رحلة ممتعة ومفيدة.

هذه أهم الملامح الرئيسة لحياتي في تلك السنين، وأرجو أن يكون في بعض ما دونت فائدة.

عبدالعزيز الخويطر

عام ١٩٥٤م

في مقدمة المفكرة في مكان العنوان وضعت عنوان السفارة في «بلقريف سكوير» عنواناً لي، لأني كثير التنقل الآن بين أماكن السكنى.

الأربعاء ١٣ يناير:

في هذا اليوم تبدأ الدراسة في الفصل الثاني من السنة، حتى الآن ومصاريفي كلها على حساب الوالد رحمه الله ولم أفكر أن أتقدم للدولة لأكون على حساب البعثة، لأني حتى الآن لم ألتحق رسمياً بالجامعة، أو أبدأ الدراسة الفعلية بها، لأن الاستجابة للضم للبعثة في الغالب لا تتم إلا بعد أخذ رأي السفارة أو بعد تعضيدها، ولا أنوي أن أطلب من السفارة تعضيدي

في طلبي، وأنا لم أبدأ فعلاً الدراسة، وهي تعرف ذلك.

وقد اختلف الأمر في هذا الفصل بعد أن التحقت بالجامعة، فقد بعثت برقية لجلالة الملك سعود[1]، بمساعدة الأخ الشيخ عبدالرحمن الحليسي الذي كتب مسودتها التي لا تزال عندي، وهي تعديل للمسودة التي كتبتها، وعليها المحو والإثبات، حتى جاءت مرضية.

في نهاية هذا الأسبوع الذي تبدأ به السنة الجديدة دوَّنت في آخر صفحة الملاحظة التالية:

«أبناء الأثرياء، خريجو مدرسة الخدم، فآباؤهم ليس عندهم من الوقت متسع يرعون فيه شؤون

(١) انظر الجزء الثامن، ص ٣٧٩.

عوائلهم، ولا يلام الصغير إذا شب أخرق، لأنه لم يتربّ بين أبوين كالشخص العادي، فهو لا يشعر بالسعادة العائلية ولذّتها، ولعل هذا يفسر الانهماك الجنسي يتردى فيه مثل هؤلاء».

نهاية الأسبوع الثاني :

في نهاية الأسبوع الذي آخره يوم الثلاثاء ١٦ يناير، كتبت الملاحظة الآتية:

«إذا أدركت في أول درس أنك فقهت ما تعلمت فيه، ثم تبين لك بعد التمرين أنك لم تفقه في تلك [المرة السابقة]، فاعلم أنك في تقدم».

السبت ٢٢ يناير :

سجلت في هذا التاريخ أن هذا اليوم «موت برد»، ولا

عجب، فهذا وقت البرد الشديد بحق، والإحساس به يزيد عندما يأتي عند نهاية الأسبوع، والناس متطلعون لطقس دافئ ليتمتعوا بإجازتهم في نزهاتهم في الحدائق وغيرها من الأماكن التي يجمل الذهاب إليها في الأجواء الدافئة في الشتاء.

الأحد ٢٤ يناير:

يوم الإجازة والذهاب إلى الحدائق والكنائس والشواطئ، نزلت البرودة إلى ما تحت الصفر بدرجات، فأرغمت الناس إلى إعمار بيوتهم بالبقاء فيها متمتعين برؤية اللهب في حوض المدفئة وهو يتراقص من خلال الفحم الحجري في الغالب، ومن الأخشاب في الأرياف.

الإثنين ٢٥ يناير :

اليوم بدء العمل في أول الأسبوع، وهويوم ثقيل على الناس، لأنه يأتي بعد الإجازة، ويؤذن ببدء عمل شاق لمدة خمسة أيام على الأقل.

كان مقرراً أن يُعقد في الجامعة حلقة دراسية Siminar ولكنها لم تعقد، تُرى هل للبرد دخل؟! لقد كان البرد شديداً طوال هذا الأسبوع.

الثلاثاء ٢٦ يناير :

في هذا اليوم والذي يليه سجلت في المفكرة أن البرد لايزال على أشده، ولاتزال درجة الحرارة تحت الصفر بدرجات عدة. واستمر هذا إلى يوم الجمعة حيث نزل الجليد في هذا اليوم وفي يوم السبت. وعادة يتلو

هذا ذوبان الجليد، ويصبح السير على الأرض خطراً، وتحصل حوادث خاصة لكبار السن، ولهذا يحاول هؤلاء تحاشي السير عليه في الشوارع إلا إذا اضطروا إلى ذلك، لأن الأرض تصبح مثل الزجاج.

الجمعة ٢٩ يناير :

بعد أن قُبلتُ في جامعة لندن، كما ذكرت، أبرقت البرقية التي صاغها الأخ الشيخ عبدالرحمن الحليسي لصاحب الجلالة الملك سعود رحمه الله، وفيها طلب ضمي إلى البعثة في انجلترا، وتاريخ البرقية ١٥/ ١/ ١٩٥٤م (١٠/ ٥/ ١٣٧٣هـ)، وفي ٢٠/ ١/ ١٩٥٤م (١٥/ ٥/ ١٣٧٣هـ) جاء من الديوان الملكي بالرياض على نجدية السفارة في لندن برقية بطلب التحقق عني، وعما إذا كنت التحقت فعلاً لإتمام دراستي، وأن

سيرتي طيبة، ويؤمل مني خير.

فأجابت السفارة في ٢٧/ ١/ ١٩٥٤م (٢٢/ ٥/ ١٣٧٣هـ) بتأييد طلبي، والثناء عليَّ، وأن دراستي تكلف حوالي ٧٠٠ جنيه في السنة، وترى السفارة إلحاقي من بداية الدراسة بالجامعة في ٩/ ٩/ ١٩٥٣م (١/ ١/ ١٣٧٣هـ).

في ٢٨/ ١/ ١٩٥٤م (٢٣/ ٥/ ١٣٧٣هـ) وردت برقية من الشيخ محمد الدغيثر من الديوان الملكي يبلغني فيها بأنه صدر الأمر السامي بإلحاقي بالبعثة من محرم ١٣٧٣هـ (٩/ ٩/ ١٩٥٣م).

في يوم الخميس ٢٨/ ١/ ١٩٥٤م (٢٣/ ٥/ ١٣٧٣هـ) صدرت برقية من الديوان الملكي للشيخ عبدالله

السليمان، وزير المالية بإلحاقي بجامعة لندن على حساب الحكومة لإكمال دراستي، ثم رد الشيخ عبدالله السليمان الحمدان ببرقية في ٢٩/ ١/ ١٩٥٤م (٢٤/ ٥/ ١٣٧٣هـ) يقول فيها إن الخادم اعتمد تنفيذ الأمر من محرم ١٣٧٣هـ[1].

السبت ٣٠ يناير:

أرسلت خطاباً في هذا اليوم للوالد أخبره عما تم من موافقة جلالة الملك على ضمي للبعثة ابتداءً من أول السنة الهجرية. استمر البرد وبقاء البرودة تحت الصفر بدرجات، واستمر البرد كذلك يوم الأحد، ونزل جليد في هذا اليوم.

(١) انظر كتابي: «لمحة من تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية»، ص (٥٢) الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

الإثنين ١ فبراير:

استمر البرد على أشده، وقد بدأ معي زكام حاد في هذا اليوم، وفي اليوم التالي ارتفعت درجة الحرارة مما اضطرني للبقاء في البيت، وعدم الذهاب للجامعة، رغم حرصي على المواظبة.

والإصابة بالزكام في انجلترا سريعة الحدوث، وتنتشر في هذا الفصل وأمثاله بسرعة بسبب الرطوبة والبلل من الأمطار والثلوج، وخاصة ما يدخل منها إلى الرقبة، ويتسلل تحت ياقة القميص، فإذا هبت نسمة هواء بَرَد هذا الجزء، وأصبح المرء كأنه في ثلاجة، ومثل هذا في الأذى ما يصيب القدمين نتيجة تخلل الماء من مخائط الحذاء، وتغلغله في طوايا الحياكة، مما يوصل الندى والبلل إلى الشُّرَّاب والقدم معها. ويقصُر عمر

الحذاء من جراء هذا، وبقي هذا إلى أن اختُرعت الأحذية ذات الساق الطويل منذ زمن، ثم الأحذية المصنوعة من «البلاستيك»، وكانت شيئاً جديداً، ولافتاً للنظر في أول الأمر.

وأذكر أننا أحياناً نقف في انتظار الحافلة، وبعد برهة قصيرة نبدأ نفقد وجود أقدام لنا، لأن أقدامنا أصبحت مثل الخشب، نجرُّها جرَّاً، ورغم أننا نحاول أن نحركها بالمشي على الرصيف، وهزّها، والقفز في الهواء مع حركات مفتعلة، إلا أن كل هذا لا يغني عنا شيئاً، ونفرح فرحة عظمى إذا ما جاءت الحافلة، ولا ينسخ هذه الفرحة إلا فرحة أعظم عندما نقف في البيت أمام وهج النار في المدفأة، حقاً إن النار في تلك اللحظة فاكهة الشتاء، وأي فاكهة!.

الأربعاء ٣ فبراير :

بدأ البرد يخف، وهذا أمر مرحب به كثيراً، مع أن موسم البرد لايزال قائماً، ولكن حمد الله واجب على هذه النعمة.

عن الدراسة :

الدروس مع الأستاذ «ميتلاند مولر» في بيته مستمرة، وأحياناً في الكلية، وفي هذا اليوم درست معه أحد الدروس المقررة. وكذلك كان التركيز في هذه الفترة مع السيد «باري».

لقد فكرت في هذه المرحلة أن أتعلم اللغة الإيطالية، وصممت على ذلك، وعزمت على أن أعرف قواعدها، وأدّخر من الكلمات ما يمكن أن يعينني، بمساعدة

القاموس، على الاستفادة من المراجع التي أحتاجها. ورغم أني استفدت في مدة قصيرة من هذه اللغة الجميلة، إلا أني للأسف لم أستمر، والسبب ضغط الدروس، وكثرة البحوث التي أُطالب بها، ولكني بلاشك أخذت فكرة جيدة عن اللغة الإيطالية.

وفكرة دراسة اللغة الإيطالية جاءت على أثر حديث مع الأخ الشيخ عبدالرحمن الصالح الحليسي عن كثرة المراجع المتوافرة في اللغة الإيطالية المتصلة بدراستي، وهذا حبب إليَّ تعلم اللغة الإيطالية، وأقنعني بفائدتها وسهولتها.

وأذكر أني كنت وإياه في نزهة، وقرب موعد الدرس فصحبني بسيارته، واضطر أن يسرع، حرصاً منه ألا يفوتني بدء الدرس، لما لاحظ اهتمامي بالحفاظ

على الموعد، فاضطر أن يتجاوز إحدى إشارات المرور الحمراء ولكن الله سلَّم، جزاه الله خيراً.

وموضوع قطع الإشارة هذا ذكرني بمشاكل الدبلوماسيين مع رجال المرور، لأن للدبلوماسيين امتيازات ليست لغيرهم. كان أحدهم عنده سيارة أمريكية فخمة، وجاء وقت صيانتها فأدخلها إحدى «الورش»، واستأجر أو لعله (ابتاع) سيارة إنجليزية صغيرة جداً (موريسماينرز) (Moriss Minors). ومر بصديق ودعاه إلى الغداء في «السِّيفْوِي»، وهو فندق من الفنادق المتميزة جداً، وأوقف هذه السيارة الصغيرة «القَبُّون» في مكان لا يسمح فيه بالوقوف، ولم يكن على السيارة أي علامة تدل على أن صاحبها دبلوماسي. فلما خرج هو وضيفه وجدا شرطياً واقفاً

بجانب السيارة، فلما فتح صاحب السيارة بابها تقدم إليه الشرطي وسأله:

هل هذه سيارتك؟

قال صاحب السيارة: نعم.

فخلع الشرطي قُفازيه، ووضعهما على غطاء مكينة السيارة (الكبّوت)، وأخرج دفتره وقلمه وبدأ يكتب المخالفة، وكان صاحب السيارة وضيفه داخلها، فأطلّ صاحب السيارة من النافذة، وقال للشرطي بلهجة حازمة:

لو سمحت لا تضع قفازك على سيارتي:

فنبهت اللهجة الآمرة الشرطي، أنها آتية من شخص واثق من موقفه، ويتكلم من مقام أعلى، رغم أنه لا يتناسب مع حجم السيارة ولا نوعها، فقال:

هل أنت دبلوماسي؟

قال صاحب السيارة: نعم.

قال الشرطي: لِمَ لم تخبرني؟

قال صاحب السيارة: لِمَ لم تسألني؟

وانتهى الأمر.

ويبدو أن الشرطة في انجلترا تعودوا على مثل هذه المواجهة، ولهذا فالود بين الفريقين مفقود في أغلب الأحيان. والدبلوماسيون لا يهمهم الأمر، رغم أن المخالفة تُقيَّد، وتُرسل إلى الخارجية، وقد ترى الخارجية مناسبة إرسالها إلى السفارة التي يتبعها المخالف، ولكنها تُقبر وتُدفن في سفارات بعض الدول غير المنظمة.

وعلى ذكر الحرفين اللذين يدلان على أن الشخص دبلوماسي (C.D) فالقانون الإنجليزي ينظر إليهما

نظرة غريبة، فرغم أنه دقيق في بعض الأمور، بل شبه مجحف، خاصة إذا كان الأمر يخص تصرف أفراد تجاه آخرين، مما يعد إخلالاً بحرية الآخرين، وتعدياً على راحتهم أو حقوقهم، أو فيه إزعاج لهم، مثل مساءلة الشخص الذي يغسل ملابسه في النهر، أو في ماء جار، ثم يعلقها على شجرة، ويتبع المساءلة عقاب، ولكن القانون لا يعاقب غير الدبلوماسي إذا وضع على سيارته علامة الدبلوماسي (C.D).

ومادمنا في هذا الموضوع أذكر حادثة تُروى عن الشيخ حافظ وهبه رحمه الله وكان الشيخ حافظ كثيراً ما يذهب في عطلة نهاية الأسبوع إلى سويسرا، وقد يكون ذلك لحضور بعض سباق الخيل، وهو ـ كما فهمت ـ كان مغرماً به، وفي إحدى هذه الرحلات عندما عاد

منها إلى لندن، كعادته، لم يطلب فتح الصالون الخاص بالدبلوماسيين، وإنما اتجه إلى قاعة الاستقبال العامة مع بقية الركاب، وكان معه جنرال إنجليزي تعرّف عليه في الطائرة، فقام المسؤول في الجمرك بتفتيش حقيبة الشيخ حافظ تفتيشاً دقيقاً، فلما انتهى من نبش الحقيبة، وإخراج ما فيها، وهمّ بالإنصراف، طلب منه الشيخ حافظ بأدب أن يعيد المحتويات إلى المحفظة، فأبى، ورد على الشيخ حافظ بخشونة، إمعاناً في الإذلال الذي كان بدأه بتفتيش الحقيبة من بين بقية الحقائب.

كل هذا والجنرال ينظر، ولم ينبس ببنت شفة، وبعد يومين أو ثلاثة جاء اعتذار من وزارة الخارجية ومعه عتاب كذلك، أما الاعتذار فعن المعاملة غير المتحضرة التي بدت من المفتش مما لا يليق بمثل الشيخ حافظ

وسنه ومقامه، وقد نُحِّي المفتش عن عمله هذا. أما العتاب فهو أنه لم يطلب فتح الصالون الخاص كالمعتاد للدبلوماسيين، وهو من حقه عند الخروج من المطار، وهذا سبَّب تعرضه لهذا الموقف المؤسف، المزعج له، والمحرج للحكومة البريطانية. كل هذا مع أن الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللَّهُ لم يشكُ أو يتذمر، حتى لما رفض مسؤول الجمرك إعادة الأشياء إلى الحقيبة، قام بذلك بنفسه.

بعض المدرسين:

من بين الذين درّسوني في هذه الفترة السيد «هاملتُون» وكان أستاذاً جيداً، ولم يبق للأسف معنا طويلاً، ولم يدم وقت بقائه معنا إلا فصلاً واحداً، ولعله استعين به لتدريس مادته التي لم يكن في الكلية حينئذ متخصص فيها، وهذه طريقة متبعة، يستفاد

من أستاذ متخصص لمدة محددة، إما لأنه لا أستاذ في الكلية يدرسها، أو أن مدرسها لسبب أو آخر سيغيب فصلاً كاملاً، أو سنة كاملة.

ومن بين من درَّسونا الأستاذ «هارولد بُوِن» وكان متخصصاً في التاريخ العثماني، وشارك البروفيسور المشهور «جِبْ» في تأليف بعض الكتب عن العثمانيين، والأستاذ «بُوِن» ليس صغير السن، ويبدو أنه كان من موظفي الإنجليز الذين خدموا في شمال العراق في مناطق الأكراد، وقد وصل إلى رتبة حاكم هناك، وبعد الحرب، وتقلص نفوذ الإنجليز هناك عاد إلى بريطانيا، والتحق أستاذاً في الجامعة.

كان يقرأ علينا بعض ما يعده مما هو مهيأ أن يصدر في كتاب، وكان في منتهى الطيبة، وتصرفاته تصرفات

موغلة في الحضارة، عطوف على طلابه، وكان يخصني بالتفاتة أبوية، وهو من أسرة راقية، وتصرفاته تدل على ذلك. وهو هادئ الطبع، وأقرب للحياء. وقد انتهى إليه أمر الإشراف على رسالتي عندما سافر البروفيسور «برنارد لويس» إلى أمريكا لمدة سنة، وبقيت معه، حتى بعد أن عاد البروفيسور لويس، إلى أن توفي، ثم انتقل الإشراف بعده إلى الدكتور «هُوْلتْ»، وهو متخصص في الأساس في الدراسات السودانية.

وفي الفترة الأخيرة من إعدادي للرسالة كنت أذهب لمناقشة ما كتبت إلى بيت الأستاذ «بون» بعد الظهر، وأشرب الشاي معه هناك، وبيته لم يكن بعيداً عن «هارلي ستريت»، وقريب من «ريجنتس بارك»، وكان البيت من البيوت القديمة المتميزة، وكنا نجلس

فيه في صالون كبير يطل على حديقة «ريجنتس» الجميلة، وكان يعتني بتصحيح ما أقدمه له، ويقوم بذلك بدقة، وكانت صحته، وكبر سنه تضطره إلى مقابلتي في البيت، واطلاعه على ما أنهيه على فترات متباعدة إلى حد كنت أشعر أن هذا يؤخر موعد تقديمي لمناقشة الرسالة مناقشة نهائية. ولولا تقديره لي لاعتذر، ووكل الإشراف إلى غيره، وقد قدرت له هذا كثيراً، مما جعلني أصبر على مرور الوقت. وقد أجري له عملية «بروستاتا»، وعلى أثرها أصيب بفقر دم توفي على أثره.

وكان عنده آخر فصل من فصول رسالتي عندما توفي، وكان قد أنهى تصحيحه وهو في المستشفى، وخجلت بعد وفاته أن أسأل زوجته المصونة عن هذا الفصل، واضطررت أن أرجع إلى مسوداتي، ولكن

زوجته اتصلت بي يوماً وأخبرتني أنها وجدت بعض الأوراق التي قد تكون مما يخصني، وكانت فرحتي كبرى عندما تبين لي من مشاهدة هذه الأوراق أنها الفصل الأخير الذي سلمته له، وأنه قد أكمل تصحيحه.

ومن علامات أنه من أسرة راقية، وأن تربيته كذلك، أنه كان رساماً متميزاً بارعاً، وكان يطلعني على ما يرسم، وآخر ما أطلعني عليه، قبل مرضه، رسم صورة «بُورتْرِت» كاملة لصديق من أصدقائه لعله في سنّه، ولعله لواء في الجيش، وقال لي:

أرجو أن تعطيني رأيك فيها.

وكان رسماً متقناً ناطقاً، يدل على أن راسمها فنان ممتهن وغير اعتيادي. فلاحظت أن إحدى العينين النظرة فيها جامدة بخلاف العين الأخرى اليقظة،

فأبديت له هذه الملاحظة، فبدا السرور على وجهه، وهنأني على دقة الملاحظة وقال:

هذا بالضبط ما كنت أفكر فيه، وقد أزعجني هذا، والآن تأكد لي وجوب تعديلها.

وفي زيارتي التالية وجدت أنه قد عالج هذا العيب في الصورة، وأصبحت العين في مستوى يقظة الأخرى.

ومما يدل كذلك على رقي مستوى أسرته أني عندما جئت لزيارته في إحدى المرات رأيت عنده طفلة عمرها في حدود ثلاث السنوات، فحييتها بكلمة «هلو» "Hello" وهي كلمة تحية شعبية عابرة، يقولها عامة الناس، ولا تقولها خاصتهم، ونحن العرب نستعملها لخفتها، لأنها تقرب من كلمة «هلا» عندنا في العربية، فأبدت الطفلة دهشتها من استعمالي هذه

الكلمة، ولعلها صعقت أن يقولها شخص محترم، فالتفتت إلى جدها وقالت باستغراب:

إنه يقول «هِلُو»!.

وطبعاً كان المفروض أن أقول «عمتِ مساءً» "Good Afternoon"، أو «مساء الخير».

وعلى ذكر كلمة «هلا»، واستعمال العرب لها، حتى أن أحدهم سمّى محلات مجوهرات يملكها بهذا الاسم، وهي كلمة تستعمل عند العرب لحث الحصان على تلقيح الفرس.

السبت ٦ فبراير:

لا أزال أدرس الإيطالية، ودروسي الخاصة فيها مستمرة بين كل يومين.

الخميس ١١ فبراير :

هذا يوم موعد تسليم بحث أعددته للعرض على الأستاذ «باري»، والبحوث مستمرة، ومن كثرتها أفرح بالإجازة حتى أكمل فيها ما لم أكمله في الأيام المعتادة أثناء الأسبوع.

وقد أخذت درساً في اللغة الإيطالية هذا اليوم حسب الموعد في الساعة الحادية عشرة ونصف. واسم المدرس «مَلُوتشيس» "Maloches". وأوقات الدرس ليست ثابتة لأني أرتبها بحيث لا تتعارض مع المحاضرات في الجامعة، أو مقابلاتي للمدرسين فيها، ولهذا فهي أحياناً تكون الساعة الثانية والنصف، وأحياناً تتأخر عن ذلك.

الجمعة ١٩ فبراير :

قدمت في هذا اليوم بحثاً للأستاذ «هاملتون» الذي سبق أن تحدثت عنه عندما تحدثت عن المدرسين الذين درست عليهم في هذه الكلية، وكان وقت التقديم الساعة الخامسة عصراً.

السبت ٢٧ فبراير :

اليوم يوم إجازة «إِيْسْتَر»، ولا دراسة في هذا اليوم، واليوم هو بدؤها، وسوف تستمر شهراً كاملاً.

وأنا أفرح بهذه الإجازة الطويلة، وأمثالها، أكثر من فرحة الإنجليز بها، لأني أكمل فيها من البحوث ما لم أستطع إكماله في الأيام المعتادة، وكذلك لأن الجو فيها تبدأ فيه تباشير جوٍّ أدفأ من جو يناير، لأن نهاية

فصل الشتاء رسمياً هو ٢١ فبراير، أي أنه مر الآن ما يقرب من أسبوع منذ دخول فصل الربيع المرحب به كثيراً.

الإثنين ١ مارس:

حرصت في هذا اليوم أن أكتب خطاباً لأخي محمد، وقد دونت في المفكرة اسم الأخ عبدالرحمن السليمان الذكير رحمه الله ولا أدري هل أني سوف أكتب له خطاباً، إذا كان لايزال في مصر، أو أني سوف أقابله في هذا اليوم إن كان في لندن، ولكني أرجح أنه لايزال في مصر وأني سوف أكتب له خطاباً لأني لم أضع الوقت للمقابلة.



صورة أهداها لي الأخ عبدالرحمن السليمان الذكير وعليها تاريخ الإهداء ٧/ ٢/ ١٩٥٤م

الأربعاء ١٧ مارس:

كان الأخ الشيخ عبدالرحمن الحليسي قد عاد من رحلة قصيرة، فذهبت لزيارته، وسعدت بوجوده، لأن لندن بدون وجوده أحس أنها غير مكتملة، وإني لآنس بوجوده، وأقتطع أثمن الأوقات لأزوره.

الخميس ١٨ مارس:

يزور الأخ صالح رضوان لندن في هذه الأيام، وقد اجتمعت به، واليوم سوف أقابله الساعة ٣٠, ١٠، وهو زميل قديم في البعثة وبيتها في مصر، وهو من أسرة مرموقة في جدة.

الجمعة ١٩ مارس:

نتطلع نحن الطلاب الذين ندرس على الأستاذ

«باري» إلى درسه، واليوم درسه في الساعة الثانية عشرة ظهراً. وجاذبية الأستاذ «باري» تأتي من عدة أمور تحببه لنا، فهو فنان لا يهتم بمظهره، ويأتي وقد علّق على كتفه حقيبة ثقيلة، فيها كتبه، ومقالات الطلاب وبحوثهم، ويأتي وقد حضّر درسه، وأعده في ذهنه إعداداً منطقياً منظماً، فيبدأ الدرس، ويداه ووجهه تعبر عما يتكلم عنه، ولهذا فهو يشدّنا، فلا نسرح في درسه، وإنما نركز، وكان يذكرني بالدكتور «علي عبدالواحد وافي» في دار العلوم، من حيث إعداد الدرس، وعرضه بصورة منطقية، ولا غرو فقد كان الدكتور علي أستاذ المنطق، ورغم أن كتبه مطبوعة، وهي في حوزتنا إلا أننا لا نرجع إليها، لأننا استوعبنا الدرس استيعاباً كاملاً منه، ومعه حركات الدكتور علي المعبرة تعبيراً يشد.

والأستاذ «باري» لا يطلب البحوث جزافاً، ولكنه يزنها مع قدرتنا، ومع أهمية المادة التي يريد أن تُبحث، فإذا سلمنا له البحث، فإنه يعطيه عناية فائقة، ونتعجب كيف يجد الوقت لقراءة كل هذه البحوث، وتصحيحها هذا التصحيح الدقيق. وقد استفدنا من البحوث التي نُجريها تحت توجيهه، والتي عُني أن تكون تمريناً لنا حتى نكون على جادة الصواب في قواعد البحث لرسالة الدكتوراه التي جئنا من أجلها.

لم تكن شهادة الدكتوراه شرطاً في تعيين الأستاذ في الجامعة، والمهم هو ما يُعرف عنه من مشاركة علمية، وإنجاز في حقل من الحقول التي تحتاج إلى تخصص، ومثله يشرف على رسائل الدكتوراه، ويوجه دارسيها. ولعل السبب أن الحرب أخذت خريجي الجامعات لخدمتها، فلم

يجدوا وقتاً يتفرغون فيه لدراسة منتظمة، ولكن قدرتهم العلمية ساعدتهم على دراسة تاريخ الجهات التي كانت مواقعهم أيام الحرب فيها، فهذا متخصص في الدراسات العثمانية، وهذا في الدراسات العربية، وذاك في الدراسات الكردية، أو الفارسية، أو تاريخ إيطاليا، وهكذا، فكانوا ركيزة للتخصصات في الجامعات.

الثلاثاء ٢٣ مارس :

اليوم موعد الدرس الرابع في اللغة الإيطالية. وأكد الأستاذ بعد أن تعذر عليَّ أخذه أنه لن يحسبه، تقديراً للأسباب التي منعتني، والتي لا أذكر ما هي الآن.

الخميس ٢٥ مارس :

موعد الدرس مع الأستاذ «ميتلاند مولر» في

الساعة الرابعة في بيته.

الأربعاء ٧ أبريل:

في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر موعدي مع الدكتور «قُسِب»، ولا أذكر الآن من هو، وقد يكون الطبيب الذي راجعته عندما أصبت بزكام في إحدى المرات، أو لعله طبيب يوناني، استدليت عليه عن طريق بعض الإخوان في السفارة، وقد ذكر لي أن عندي نقصاً في الغذاء، وأعطاني إبراً من أجل التغلب على ذلك، ولكني بعد التفكير قررت أنه لا فائدة تُرجى من ورائها، فانقطعت عن الاتصال به.

يلاحظ قلة تسجيل النشاط في هذه الأيام خلافاً للأيام السابقة، والسبب أننا في إجازة، وأغلب الوقت

أقضيه في المكتبة، أو في البيت متابعاً إنهاء ما هو مطلوب مني من البحوث.

الثلاثاء ٢٧ أبريل :

موعد أخذ الدرس عند الأستاذ «ميتلاند مولر»، وقد بدأ الدرس في بيته الساعة الثانية بعد الظهر.

الأربعاء ٢٨ أبريل :

هذا يوم مهم فهو يوم بدء الدراسة وانتهاء الإجازة، وهذا يعني بدء المحاضرات والبحوث، وتقديم ما هو معد أثناء الإجازة، والطالب يتطلع إلى رأي أساتذته فيما قدمه، وهذه النتائج تؤدي دوراً كبيراً في الآمال بأن تأتي هذه النتائج مقبولة، ليساهم ذلك في تقريب بدء الدراسة للرسالة. أما ما نأخذه الآن فهو تحضير

لامتحان المعادلة، وهو مطلوب إجباري، علينا أن نستعد له.

السبت ١ مايو:

في هذا اليوم سافرت إلى باريس لمراجعة بعض المصادر التي أحتاجها، ولا توجد إلا في المكتبة الوطنية في باريس، وقد بقيت هناك ثلاثة أيام، وكنت أجمع ما أحتاج إليه في هذه الفترة تدريجاً، وعندما يجتمع مجموع منها يستحق الرحلة أذهب إلى فرنسا، وهذه المصادر في الغالب تخصّ العصر المملوكي، أو الحروب الصليبية القريبة من حقبتهم أو فيها.

الأربعاء ١٢ مايو:

قابلت اليوم البروفيسور «برنارد لويس» الساعة

الثانية بعد الظهر حسب موعد مضروب بيننا، وذلك لإطلاعه على ما قمت به من نشاط، والنتائج التي حصلت عليها، ولأخذ توجيهه فيما يرى أن عليَّ أن أقوم به. وقد سرَّه أن يعلم أني أدرس اللغة الإيطالية واللغة الفرنسية، وهو يدرك أن هذا العمل يدل على جدية في الطلب.

وكان الموعد الذي يلي هذا الموعد هو يوم الإثنين ١٧ مايو، وأغلب مقابلاتي معه تتم في أيام الإثنين.

الخميس ٢٠ مايو:

في هذا اليوم سجلت أن الشيخ حافظ وهبه قد وصل إلى لندن، ولعله سافر إلى المملكة العربية السعودية، أو سافر إلى إحدى بلدان أوروبا، وذهابه إلى

أوروبا عادة لحضور بعض مسابقات الخيل المشهورة، ولكن عودته يوم الخميس إلى لندن قبل قرب إجازة نهاية الأسبوع تدل على أن سفره لغير ذلك، وأنه إلى المملكة في أغلب الأحوال.

الجمعة ٢١ مايو :

اليوم معي درس مع المدرسة في اللغة الفرنسية، وقد بدأته بجد، والبدء باللغة الفرنسية صعب، ولكن التغلب على الصعوبة أسهل من التغلب على الصعوبة في اللغة الإنجليزية، لأن الفرنسية أقرب إلى المصطلحات، إذا حفظها الإنسان هي بمثابة جملة كاملة، قد تكون صعبة التهجي في الكتابة، ولكن الإنجليزية مثلها، والأسهل منهما اللغتان الإيطالية والأسبانية.

السبت ٢٢ مايو :

أما وقد بدأت إجازة نهاية الأسبوع فقد انتهزت الفرصة، وذهبت إلي السينما، وكان الفيلم «ابن الهاص» The Kanve of Heart، وعدم تسجيل ذهابي إلى أفلام في الأيام التي مضت قد يدل على أني مشغول، أو أنه لا أفلام جيدة، أو أني ذهبت ولم أسجل ذهابي.

الإثنين ٢٤ مايو :

هذا يوم مهم، لأني قابلت فيه البروفيسور «برنارد لويس» بعد «سِمِنَار» حضرناه معه ومع آخرين. وبعد البحث اتفقنا على أن أكتب عن الظاهر بيبرس، واليوم يعد الخط الفاصل بين التجربة في البحوث المختلفة، و «السمنارات» المتعددة، ونجاحها، فقد سبق أن طلب

مني البروفيسور لويس أن أبحث عن المصادر الخاصة بهذا الموضوع (موضوع الرسالة)، وأن أضع رؤوس أقلام عن محتوى البحث في هذا الموضوع.

الثلاثاء ٢٥ مايو:

اليوم الدرس مع الأستاذ «باري»، وسيكون مفعماً بالفائدة، وهو كذلك يوم الدرس الإيطالي.

الأربعاء ٢ يونيه:

في هذا اليوم عقد «سمنار» مشترك بين أقسام التاريخ، وهذا اليوم يسبق يوم عيد الفطر المبارك، و «السمنار» يعقد في المعتاد في يوم الأربعاء من كل أسبوع بقدر الإمكان، ولهذا كان هناك «سمنار» مماثل يوم الأربعاء الماضي ٩ مايو، غير هذا المشترك.

الخميس ٣ يونيه :

اليوم هو يوم عيد الفطر المبارك، وقد صلينا في المركز الإسلامي في حي «ريجنت» في لندن، وسارعت بعد الصلاة والسلام على الإخوان الذين حضروا الصلاة والخطبة إلى الذهاب إلى الكلية، لأني على موعد مع الأستاذ «بون».

الثلاثاء ٨ يونيه :

كان شوقي إلى تعلم قيادة السيارة كبير، وأتطلع إلى اليوم الذي أحصل فيه على رخصة تطلعاً شديداً، وفي هذا اليوم سجلت أول خطوة تجاه هذا الهدف الغالي!! ودفعت لمدْرَسَة تعليم السياقة مبلغ ثلاثة جنيهات واثني عشر شلناً، ودفعت مثل هذا المبلغ فيما بعد يوم

١٩ يونيه، ثم تتالت الدفعات، وبهذا أكون قد دفعت مبلغاً لا بأس به، وتمرنت تمريناً كافياً، أهلني لطلب الامتحان، حسب رأي المدرب الذي علّمني القيادة في الأشهر التي مرت. وكانت المدة لكل درس نصف ساعة، وفي أول ابتدائي للتعليم كنت أقوم بذلك في الضواحي، والأماكن التي لا يطرق شوارعها أناس كثيرون، ثم تدريجاً بدأت أدخل شوارع حيّنا، وهو الحي الذي به مركز إدارة الشركة الخاصة بتعليم القيادة، وأوصل المدرب إلى المدرسة.

وتقدمت لامتحان القيادة[١]، وكان اسم الممتحن «رُوز وِرْث»، وتفاءلت بهذا الاسم الذي جزء منه «وردة»، وكان رجلاً نحيلاً، دقيق الملامح، صامتاً،

---

(١) انظر ما دون في يوم السبت ٣١ يوليه من هذا العام، ص (٨٨).

قليل الكلام، ونبهني منذ بدء الاختبار عن أسلوبه الذي سوف يكون عليه في اختباري، وأنه سيطلب مني ما سوف يطلبه بوضوح، وأن عليّ أن آتي بالحركات التي يطلبها في توجيهه، وستكون هذه الطلبات في وقت كاف لأتصرف برد فعل مناسب.

وأخذ يوجه الأوامر بين آن وآخر، مثل: «قف»، أدر السيارة للاتجاه الذي أتينا منه بثلاث حركات فقط، في شارع ضيق نوعاً ما، ثم أوقفني في منتصف تَلّ، ثم طلب مني أن أبدأ من جديد، ليرى هل أستطيع أن أتقدم إلى الأمام دون أن تعود السيارة قليلاً إلى الخلف، وأخذ يلاحظ بدقة مدى إعطائي اعتباراً للمارة، إلى آخر ما يُتطلع من السائق أن يكون متقناً له، ليساهم في جعل المرور آمناً ومريحاً.

ومع هذا، فعندما انتهى الاختبار أعلمني بإخفاقي، وفي حكمي على نفسي، أني لم أغلط غلطة واحدة، وتبين أن غلطتي الكبرى التي أوجبت عدم نجاحي هي صدقي بالإجابة عندما سألني الممتحن بعد أن تم الامتحان: متى بدأت تعلُّم القيادة، فقلت صادقاً منذ ثلاثة شهور، كان هذا كافياً لرسوبي، وقد فهمت فيما بعد، من المدرب عندما عدت إليه، أنه كان عليَّ أن أقول سنة أو سنتين.

فقلت للمدرب: إن الذي له سنة وسنتان وهو يقود سيارة لا يخفى هذا من قيادته. قال: إن الامتحان ورهبته يساوي حسب تجربتي بين القديم والجديد.

على كل حال لقد جاء الحكم مصاغاً بعبارة جافة ومخيفة، فقد قال لي الممتحن:

آسف، إنك تُعد خطراً على المشاة.

وظننتها كلمة قاسية، وكأن فيها رائحة إجرام مني، ولكني عرفت من المدرب أن هذه الجملة ثابتة تقال لكل من لم يتخط الامتحان بنجاح، وهكذا رسبت.

عدت بعد ذلك لأخذ دروس تمارين قيادة مرة أخرى، وعودتي كانت للتمرن فقط، أما الأصول والقوانين فكنت قد أتقنتها. وقد علمت أن هناك من يرسب في الامتحان عدة مرات خاصة النساء.

ودخلت الامتحان مرة أخرى بعد ثلاثة شهور أخرى، بالرخصة المؤقتة التي تُعطى لكل من يبدأ تمارينه، لأنه لا يجوز أن يُحرك السيارة أحد من مكانها إلا إذا كان معه رخصة، فالرخصة المؤقتة هذه تُدخل تعلم القيادة في حدود القانون، ولكن يلزم أن يكون

المدرب بجانب المتدرب في السيارة.

وآن أوان بدء الامتحان في أحد الأيام بعد الظهر، وكان اسم الممتحن «الجزار» (Mr. Butcher)، وكانت توجيهاته متتابعة وبسرعة، وبلهجة خشنة آمرة، تربك أعتى السائقين، فما بالك بمبتدئ مثلي، سبق أن رسب في امتحان مع رجل اسمه فيه رائحة الورد، وتوجيهاته هادئة وتأتي ممهداً لها، وكان هذا الممتحن الجديد ضخماً نسبة إلى ذاك، ولسرعة إعطاء التوجيه أحياناً يأتي أحدها قبل أن أكمل الاستجابة لما سبق. هذا كله كان مصدر ارتباك لي، وفي تقديري أني لم آت بحركة واحدة صحيحة إلا في الأمور السهلة جداً، وأيقنت بعدم النجاح، وأني سوف أسمع في النهاية حكماً أقسى من السابق،ولهذا بدأت أيأس، وبدأت

أتصرف بعدم اهتمام، وكأني وحدي في السيارة، مع حرصي على تنفيذ أوامره: «قف» أقف، «اذهب يميناً» أذهب يميناً، وأُخرج يدي من النافذة كما يوجبه الأمر. «اذهب يساراً» أذهب يساراً مع إخراج يدي من النافذة، وتحريكها بصفة دائرة. وهذه هي الأصول في تلك الأيام قبل أن تخترع الإشارات الآلية الضوئية. على أنه يجب التذكير بأن عمود القيادة «الدراكسون» على يمين المقعد الأمامي، كما هي سيارات إنجلترا، وما كان تحت حكمها من دول «الكومنولث».

وانتهى الامتحان، وأعدت الرجل إلى مقر إدارته، وانتظرت حكمه قبل أن ينزل، وإذا هو بعد أن وقع التقرير، ومد يده به إليَّ، يقول بابتسامة واسعة، لم أصدق عيني وأنا أنظر إليها:

أهنيك، لقد أصبح من حقك أن تحمل الرخصة الثابتة بدلاً من المؤقتة، وتقود سيارتك وحدك، وأتمنى لك قيادة مسددة.

ولم أصدق أذني، ومع هذا صافحته وشكرته، وبقيت مسمّراً في مكاني، إلى أن وصل المدرب الذي كان بانتظاري، وبشرته بالنتيجة، وبدهشتي منها على كثرة الأخطاء التي ارتكبتها، مقارنة بالامتحان السابق.

وأخذت أفكر، وأدير الأمر في ذهني، ما هو العنصر الذي أوجب نجاحي مع كل الأخطاء التي في ذهني أني ارتكبتها هل لأن الممتحن يدرك حدود الصحيح من الخطأ تحت رهبة امتحان ثان؟ أو المدة التي «كُبّلت» فيها شفعت لي، وأن الأخطاء، مرة أخرى، هي أخطاء الرهبة؟ أو أن تصرفي في أواخر الاختبار كشفت ثقة

شفعت لي؟ لأني كنت أقود السيارة بعدم اكتراث، وكأنه لا أحد بجانبي، أو أن من بجانبي نائم لا مستيقظ، وليس في يده محاسبتي. لقد كنت أتجاوز السيارات بجرأة قانونية فائقة، وإذا طلب مني الوقوف أقف بعنف إلى حد ما. لا أدري أي هذه الأمور هو الذي أخذ بيدي إلى إرضاء الممتحن، لعلها كلها، أو لعل هناك ما لم أعرفه مما يعده هذا الرجل المنصف مُهمَّاً، وعليه الاعتماد في قيادة السيارة[١].

علي أي حال، لقد نجحت في قيادة السيارة رسمياً، وأصبح عندي وثيقة محترمة معتبرة، وقد أبقيت هذه الرخصة بين أوراقي تميمة موقرة مراحة، لأني لا أملك سيارة، ولا أنوي أن أملك سيارة في انجلترا، فليست،

(١) سوف يأتي فيما بعد تحديد اليوم الذي جرى فيه هذا الامتحان، انظر ص (١٤٢).

بالنسبة لطالب، خير الوسائل.

ولما عدت للمملكة، وصار بإمكاني أن أملك سيارة، سعيت في ترتيب اختبار لي لأحصل على رخصة القيادة السعودية، لأني فهمت أنه لابد من ذلك، فرخصة انجلترا لا تكفي، وجاء الممتحن، ولم يطل الامتحان لأن مركزي، أمين الجامعة العام، ومعي رخصة إنجليزية، شفعا لي بسهولة حصولي على الرخصة، بعد امتحان سهل سريع، تأكد فيه الممتحن أنه لا بأس من إعطائي الرخصة، وكنت أسكن في الملز، والطريق منه إلى الجامعة يكاد يكون خالياً من السيارات ومن الناس في تلك السنة (١٣٨٠هـ).

ومن الأدلة التي تؤكد أن الامتحان كان سهلاً أنه لم يطلب مني أن أمر بين قضبان حديد على المرء أن

يمر من بينها، وهي ضيقة لا يمر منها إلا من يجيد القيادة فعلاً، ولم يطلب مني أن أعود إلى الخلف وأمر بمنعرجات لا يمر منها بسلام إلا من أتقن التمرين.

وأذكر أن هذا الممتحن التفت إليَّ فجأة، وأنا أقود السيارة في وسط الطريق، وقال لي بلهجة آمرة شديدة «قف»، فوقفت في مكاني، في وسط الطريق، وكاد رأسه أن يصطدم بعنف «بالطبلون» أمامه، فقال لي:

هذاخطأ، المفروض، عندما أمرتك أن تقف، أن تمهد لهذا بتهدئة سرعة السيارة، وأن تبدأ تقترب من أيمن الشارع، وتقف تدريجاً.

فقلت له: إنك لم تخبرني بذلك، واللهجة الصارخة دلتني على أنك تريدني أن أقف، فلم تخبرني من قبل بأسلوبك في الامتحان.

فقال: المفروض أن تفهم هذا.

فقلت له: عددت هذا الأمر يناسب حالة ما لو أن طفلاً مرق من أمامي، أو بقرة اعترضت فجأة، فاضطررت أن أقف مثل هذه الوقفة. على أي حال جربني مرة أخرى الآن، وسوف تجدني مطيعاً إطاعة دقيقة مادمت قد عرفت ما هو التصرف الواجب تجاه مثل هذا التوجيه.

ويبدو إما أنه اقتنع بما قلت، وهو ما لم يسمعه من أحد غيري من قبل، أو أنه لم يرد أن يدخل في نقاش لا داعي له، ولا فائدة منه مادام أنه سوف ينجحني، وأن مثل هذه غلطة تافهة لا ترسبني.

وكان في الجامعة سيارة «شيفر» زرقاء، سبق أن صدم بها سائقها صدمة عنيفة آذت من كان فيها،

وجعلت العمود المتصل بعمود القيادة يميل، فتجنبها السائقون، لأن هذا الخلل يجعل السيارة تجنح إلى اليمين طوال الوقت، ولا بد للسائق أن يكون متنبهاً، فيعيدها للاستقامة في السير بين آن وآخر، وقيَّض الله لهذه السيارة من يحنّ عليها، ويستعملها، بعد أن كانت في الجامعة مثل الأجرب؛ كل سائق أو موظف يتجنبها، وإذا كانت انتفعت مني بهذه الصُّحبة فقد استفدت أنا أكثر. وكان «الملز» ميدان تدريبي أخرج في الصباح من البيت في هذا الحي قليل السكان والسيارات، وأذهب إلى الجامعة، ثم أعود بعد انتهاء الدوام. وكنت أتجنب الذهاب إلى الأماكن المزدحمة، إلى أن جاء أخي محمد للرياض لزيارة، وسكن في فندق في البطحاء، وكنت حينئذ أسكن مع معالي الأخ محمد أبا الخيل في الملز، وكان كل واحد منا الاثنين عازباً.

سهر أخي محمد عندي في تلك الليلة، هو والأخ الأستاذ يوسف الأحيدب، ولما حان وقت ذهابه، حوالي الساعة العاشرة والنصف، أركبتهما معي في السيارة، لأوصل أخي إلى فندقه في البطحاء، وأقدمت على هذا لأن الناس في البطحاء في هذا الوقت قليل، وكذلك السيارات، وعندما وازنا الفندق كان عليَّ أن أدخل إلى اليسار في فتحة في جزيرة الشارع أمام الفندق فلَمَسَتْ العجلة اليسرى الخلفية طرف الرصيف، فكان في ذلك صيد ثمين للأخ يوسف، فأخذ يبكت عليَّ طوال الوقت، إلى أن أعدته لبيته بعد أن أنزلنا الأخ محمد عند فندقه.

ذهبت إلى محطة البنزين، وملأت خزان السيارة وعدت إلى البطحاء إلى المكان نفسه الذي أخطأت

عنده تقدير الالتفاف إلى اليسار، وصرت أذهب منه وأعود إليه، وفعلت هذا ما يقرب من عشر مرات، حتى أتقنت «اللَّفة»، وكان الوقت في حدود الثانية عشرة ليلاً. وكان هناك شرطي لاحظني، وأخذ يرقب، ولابد أنه كان محتاراً فيما أفعله، ولكنه لم ير خطأ، والسيارة محترمة، فلم يزد عن المراقبة ـ جزاه الله خيراً.

وهذا الفعل أخذته فائدة مما يحدث للطيارين، فإن الواحد منهم إذا أصاب طائرته خلل، ونزل سالماً بالمظلة، طُلب منه أخذ طائرة أخرى في الحال حتى لا يتعقّد.

طرفة وقيادة السيارة :

هناك قصة طريفة تتصل بتعلمي لقيادة السيارة. جاء قريب لي إلى لندن، وكنت معه في أغلب الأوقات،

وكنت أسكن في فندق خاص في شارع «ويست كرمول» بعد أن خرجت من عائلة «ديمبستر»، وكان مقرراً أن نذهب معاً أنا وهو في صباح أحد الأيام. وكان يسكن معنا في الفندق فتاة فرنسية، وكانت منزعجة من الفندق، لأن سكانه شباب مجمع من جنسيات شرقية مختلفة، وصاحبه لم يكن مريحاً، لأنه من أحد بلدان شرق أوروبا النازحين بعد المد الروسي الشيوعي. ولأني أصبحت خبيراً بالمساكن التي في الحي، طَلَبَتْ مني أن أساعدها في البحث عن سكن، فذهبت معها للبحث، وطال البحث، وخشيت أن أتأخر عن قريبي هذا، ولم أخبره بالحقيقة، فيمسك عليَّ هذه، وأنني قدمت هذه عليه، فاتصلت به تليفونياً، وقلت له:

إن عندي في هذا الوقت درس في تعلم قيادة السيارة كما تعرف، وخشيت أن أتأخر عنك، فأردت أن أخبرك، وأني بمجرد انتهاء الدرس سوف أمرّ بك.

ثم زاد الوقت عما هو محدد لتعلم القيادة، فاتصلت به، وقلت:

إن إحدى العجلات أصيبت بعطب، وأن إصلاحها قد يحتاج إلى نصف ساعة، فأحببت إعلامك حتى لا تقلق، حسبي الله على «الكفرات» العجلات؛ ما أكثر ما «تعطّل» الناس.

فاقتنع ـ حفظه الله ـ ولم يخطر بباله أن هذا غير صحيح، وأن السبب أمر آخر. وكان بينه وبين الأخ عبدالرحمن السليمان الذكير، صديقنا رَحِمَهُ اللَّهُ موعد للقاء، ليتناولا الإفطار معاً لأنه يسكن في «البنسيون» نفسه هو

وعبدالرحمن، على شارع «كرمول رود» رقم (٢٤٣)، ونحن في «وست كرمول رود» كما سبق أن ذكرت.

وصادف أن الأخ عبدالرحمن أطلّ من نافذة غرفته، فرآني مع الفتاة الفرنسية واسمها (أَنِكْ) فقال لقريبي:

انظر العجلة المعطوبة مع قريبك.

فلما رآني قريبي هذا نزل مسرعاً، وكان عادة حذراً عند عبور الشوارع، فلا يعبر شارعاً إلا بعد أن ينظر يميناً ويساراً، ويطمئن أن لا خطر من مرور سيارة، ولكنه في هذه المرة ذهل عن عامل الأمان، والحرص على السلامة، فعبر الشارع مسرعاً، متفادياً السيارات المارّة إلى أن وصل إلى الرصيف الذي أنا عليه ومعي الفتاة (الفرنسية) «أنك»، وأخذ يقول:

عجلة ما عجلة، «كفرات، مَفَرات»، تضحك عليَّ،

تهزأ بي، يا سلام على العجلة التي لم تعرف العطب، لِمَ العجلة، ما دام هناك عجلة، ويتكلم ويداه على خاصرتيه في منظر يوجب الضحك.

فقدمته للفتاة، وقلت لها إن هذا قريبي، وأفهمتها بالأمر من أوله لآخره، وقلت لقريبي هذا، لأكسر حدة الاحتجاج، وأخفف من حنقه:

أتدري ماذا قلت لها؟.

قال لي:

لا.

قلت لها: انني أسمّي هذا قريبي، ولكنه في الحقيقة ليس قريبي البتة، إنما هو لقيط وجدناه عند باب المسجد، فعطفنا عليه وربيناه.

فالتفت قريبي هذا إليها،وأخذ يؤشر بيديه محاولاً

نقض ما قلت، ولم يستطع إلا أن يقول: لا .. لا، ويضع يديه الاثنتين بجانب بعضهما ليدلا على القرابة، وهي تحاول أن تخبره أنها فهمت قصده وأنه قريبي، وبقيت الإشارات، وبقيت الحيرة إلى أن وصل الأخ عبدالرحمن الذكير، وهو محل ثقة من قريبي، وفهم الأمر وشرحه له، وزاد غضب قريبي لما عرف أن ما قلته هو الحقيقة وأني أوهمته أن ما قلت لها غير ما قلته حقيقة، وأني شرحت لها أمر عجلة السيارة والعذر الذي اتخذته.

وقد وجدنا سكناً للفتاة «أنك» في عمارة مقابلة لسكن الأخ عبدالرحمن الذكير رحمه الله ولم أزرها إلا وقريبي هذا معي، وقد توطدت علاقته معها. وهي فتاة فرنسية جاءت لتتعلم اللغة الإنجليزية، وهي على جانب عال من الخُلق والاستقامة، وقد استمرت



هذه صورة للفرنسية «أَنِكْ» صاحبة قصة «الكفرات»



«أَنِكْ» وأخت زوجها «آن ليز كروزي» في لقطة باسمة

العلاقة الطيبة معها، وقد تعرفت هي وزوجها فيما بعد بأخي حمد في باريس، وتوطدت علاقته معهم حتى صار هو صديقهم لا أنا، وقد توفيت هي وزوجها في حادث سيارة.

عودة لأمر السكن :

سكنت، كما قلت، في هذا الفندق الخاص، وهو في منطقة جيدة، لا من حيث سعة الشوارع، وجمال البناء ولا من حيث النظافة، وقلة الازدحام، وسهولة المواصلات وكثرة المرافق من مطاعم، وبقالات، ومقاهٍ حديثة، ومحلات غسل الملابس وكيها، ودكاكين الحلاقة، إلى آخر ما يحتاجه الساكن،دون حاجة إلى الذهاب بعيداً إلى الأسواق في الشوارع الرئيسة، وسرعان ما ازدحم هذا الحي بالهنود والباكستانيين،

وبمن جاورهم من الأقطار. وبعض الهنود، بعد استقلال بلادهم، اشتروا بيوتاً حولوها إلى أماكن للتأجير، وبعض هؤلاء رغم أنهم ملونون لا يسمحون بسكنى الملونين في هذه المساكن، حتى من جنسياتهم، بل بعضهم يضع يافطة صريحة بذلك. وقد تنقلتُ ثلاث مرات في هذا الحي، وسكنت في ثلاثة بيوت، لأُلفتي لهذا الحي.

ولعله من المناسب أن أكتب عن أول مسكن سكنته في هذا الحي، في شارع «كرمول» في غربيه، لأن له امتداداً ليس قصيراً. وهذا البيت فندق خاص، وهو من البيوت الإنجليزية التقليدية القديمة، وقد حول ليتناسب مع غرض التأجير الجديد، وفيه ثلاثة طوابق ونصف، وطابق تحت

الأرض، والذي دلني عليه الأخوة أعضاء البعثة العسكرية، استأجرت به غرفة، فيها حوض لغسيل الوجه، وعليه مرآة تساعد وقت الحلاقة. أما الحمّام فمشترك بين سكان الطابق، لأن الغرفة التي معها حمام خاص بها إيجارها مرتفع، وميزانية الطالب لا تتحمل غرفة بحمام.

سكنت في هذا الفندق مدة غير طويلة، إذ أن هذا السكن لم يعجبني، لكثرة تغير السكان فيه، وتنوعهم، وكان الأكل مشتركاً، وكان يقدم في الدور الذي تحت الأرض. وصاحبه من إحدى دول شرق أوروبا، من الذين هربوا من حكم الشيوعيين الروس، وقاصمة الظهر التي أوجبت خروجي، وآخرين غيري، هي عندما تبين لنا أنه يقدم لحم خنزير على أنه لحم ديك رومي،

وقد تركت «أنِكْ» هذا السكن، كما ذكرت، وقد تركته بعدها بوقت قصير، بعد أن اكتشفت أمر اللحم، فلما جابهناه بما اكتشفناه، لم يتأسف، أو يعتذر، وحجته: «أنكم إن لم تعلموا أنه لحم خنزير فلا إثم عليكم، وأنا مستعد أن أتحمل الإثم عنكم». وكان رجلًا مادياً لا يهمه إلا المادة.

وقد بدأ هو وأمثاله، بعد نزوحهم، أعمالاً تجارية صغيرة، سرعان ما كبرت، وأصبحوا أصحاب ثروات أوصلت بعضهم إلى البرلمان أعضاءً فيه، ورغم أن الإنجليز لا يحبونهم إلا أنهم يجاملونهم، ولا يستطيعون أن يعارضوا تصرفاتهم، لأنهم يعرفون كيف يدورون حول القانون بما يعود عليهم بالفائدة.

وقد أعطيت صاحب الفندق إنذاراً بعزمي على

الخروج من هذا الفندق، يوم الخميس الأول من شهر يوليه، من هذا العام، على أن يكون الخروج الفعلي يوم الجمعة ٩ يوليه.

السبت ١٩ يونيه :

موعد التدريب على قيادة السيارة اليوم من الساعة الثانية عشرة ظهراً، إلى الثانية عشرة ونصف، وسلمت لهم ثلاث جنيهات واثني عشر شلناً.

وقبل ذلك كان الدرس مع الأستاذ «Vale» «فيل»، ولعله مدرس اللغة الفرنسية أو الإيطالية، وكان الوقت من الساعة التاسعة إلى التاسعة والنصف.

الثلاثاء ٢٩ يونيه :

دفعت لمدرس اللغة الخصوصي مبلغاً مقابل خمس

حصص. ودفعت لمَدْرَسة تعليم قيادة السيارات ثلاث جنيهات واثني عشر شلناً.

في هذا العام انتقلت السفارة من بلجريف سكوير إلى «كنزنجتون بالاس جاردن (٢٤)»، وكان سكن الأخ الشيخ عبدالرحمن الحليسي في (٢٢) «كادقان سكوير»، وهو حي جميل يليق بمن هو من مقامه في سفارة.

في أوائل هذا الشهر أقام الأخ الشيخ عبدالرحمن دعوة لما يقرب من أربعة عشر شخصاً، وذبح لهم ذبيحة، وهو حدث قليلاً ما يحدث في لندن، لأن أمر ذبيحة كاملة أمر تدبيره صعب، ولكنه سهل على كريم مثله.

الأربعاء ١٤ يوليه :

في هذا اليوم سجلت أني زرت الدكتور «ديفز» والدكتور «جيفري بيتمان» في (٥٥) «هارلي ستريت»، ولا أذكر الآن السبب، و «هارلي ستريت» هو شارع الأطباء النطاسيين، ولا يفتح عيادة فيه إلا الطبيب المتميز، وعلى ناصية هذا الشارع مستشفى «لندن كلينيك»، وهو من أرقى المستشفيات.

الثلاثاء ٢٠ يوليه :

وصل صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالعزيز إلي لندن منذ أيام، وكان الأخ الشيخ عبدالرحمن الحليسي مع سموه طوال الوقت، وذهبت للسلام عليه مع الأخ الشيخ عبدالرحمن، وأذكر أنه في

إحدى جلساتنا مع سموه تحدث عن الشباب، وعن ما عليهم من واجبات تجاه المملكة عموماً، وتجاه بعض الأمور خاصة.

وقد سافر في هذا اليوم، وذهبنا لتوديعه في المطار.

بقية الشهر:

كان أخي محمد قد وصل إلى لندن، وكنت معه طوال الوقت، وكان يحتاج إلى مراجعة الأطباء، وكان من بينهم طبيب العيون، وعيادته في (٢٥) «هارلي ستريت»، وكذلك طبيب الأنف والأذن والحنجرة، واسمه «اسكندر».

سبق منذ سنوات أن أصيب الأخ محمد بالتهاب في اللهاة في أعلى الفم، وسافر للعلاج في البحرين، وعولج

في المستشفى الخاص بالبعثة التبشيرية الأمريكية، وقد شفي، إلا أن العملية تركت ندباً صغيراً في اللهاة، وشكا فيما بعد من أثر في الأنف راجع بسببه المستشفى في مكة، فخشي الطبيب أن يكون ذلك بدء سرطان، مما دعا الأخ محمد أن يقطع الشك باليقين، فيأتي إلى لندن، وعندما كشف طبيب الأنف على أنفه طمأنه بأن الأنف سليم، وأكد له أن السرطان لا يأتي في الأنف، وعادة ما يستشري في مناطق فيها لحم، والأنف ليس فيه لحم.

ومجيء محمد للعلاج هذا انتهزه في كشف عام على الجسم، فكنا ننتقل من طبيب إلى طبيب، ولم يعد إلى المملكة إلا بعد أن اطمأن أنه في صحة وعافية، أدامها الله عليه.

الإثنين ٢٦ يوليه:

كان الأخ عبدالكريم الحمد الذكير قد وصل إلى لندن في يوم الأربعاء ٢١ يوليه، ولعلها رحلته الثانية، لأنه سبق أن جاء إلى لندن قبل مجيئه هذا بسنتين أو ثلاث، وأجري له عملية كبيرة في الرئة، ولعله استؤصل له جزء كبير من إحداهما أو كلتيهما، لهذا جاء هذه المرة ليتابع الكشف.

في الساعة العاشرة والنصف صباحاً ذهبت أنا والأخ محمد إلى أحد الأطباء الذين يراجعهم، وعيادته في (٥٣) «هارلي ستريت»، وكان عنده موعد عند طبيب الأنف «اسكندر»، فألغي الموعد، ولا أدري هل نحن الذين ألغيناه أو الطبيب، فالمفكرة تقول أُلغي!.



مجموعة من الإخوان الذين اعتدنا أن نجتمع معهم في بعض الليالي،وكلهم طلاب دكتوراه. في الخلف: عبدالكريم الذكير، وعلى يمين الصف الثاني نبيه عاقل ثم عبدالخالق قاضي ثم أخي حمد، ثم أحمد سيد إبراهيم، والصف الأمامي محمد الشوش ومحمود السمرا

الأربعاء ٢٨ يوليه :

بالأمس ذهبت مع الأخ محمد الساعة الثالثة، وهو الموعد المحبب للأطباء، ولا أذكر أي الأطباء، والمفكرة اكتفت بالموعد، وهو المهم في ذلك الأسبوع، ولم يخطر ببالي حينئذ أن أُفَصِّل، مع أن هناك مجالاً في الصفحة لن يضيق عن اسم الطبيب وتخصصه، ولكن هذا يكشف عن الهدف في حمل المفكرة، وهو لا يزيد عن تذكيري بالمواعيد حتى لا أنساها، أو أشكك في وقتها، واليوم الأربعاء عندي في المفكرة بعض الغموض فيما سجلته، وما سجلته لا يزيد عن:

١) عبدالرحمن: من المؤكد أنه الشيخ عبدالرحمن الحليسي، وفي الغالب هذه الملاحظة لتذكيري بالمرور عليه.

٢) البنك: ولابد أني سوف أسحب مبلغاً منه.

٣) ممرضة الدكتور «بدلي»: ولابد أن هناك نية لأخذ موعد مع الطبيب، أو تعديل موعد، أو إلغائه. من هو الطبيب وما هو اختصاصه؟ الله أعلم.

٤) الآنسة: «هوس فيلد»، سوف تبقى لغزاً، ولابد أن الاتصال بها لغرض غير شخصي، ولو كانت الكلفة مرفوعة معها لقلت: «هوس فيلد» من غير لقب الآنسة.

الخميس ٢٩ يوليه:

في هذا اليوم أكملت أربعين حصة في تعلم طريقة قيادة السيارة، وكما سبق أن ذكرت أن الحصة مدتها نصف ساعة، ولكن كان ذلك ظناً، أما الآن فقد نُصَّ في المفكرة على أن الحصة مدتها نصف ساعة.

الجمعة ٣٠ يوليه :

أشرت في السابق إلى دكتور يوناني دلّني عليه الإخوان في السفارة، وراجعته عدة مرات، ولكني سريعاً اقتنعت بأنه من الأفضل أن لا أستمر معه، لأني اكتشفت أنه يوهم الشخص أن عنده نقصاً في أحد الفيتامينات المهمة، فيعطيه إبراً مكملة مقوية، ويبدو أن هذا أول يوم راجعته فيه، لأني كتبت في خانة المفكرة لهذا اليوم اسمه وعنوانه وتليفونه كاملاً، ودامت مراجعته أسبوعين متتابعين اقتنعت بعدهما أن من الأفضل أن أنقطع عن تحديد مواعيد جديدة، وفي غالب الظن أن الإخوان في السفارة وصلوا إلى النتيجة نفسها.

السبت ٣١ يوليه :

أُغلقت الجامعة في هذا اليوم، ثم فتحت يوم الثلاثاء ولابد أن هذه إجازة سنوية، لسبب ما، أو مناسبة دينية بقيت تُحيا أيامها فقط لا ما كان يقام فيها من طقوس دينية، فهذه نسيت أو تنوسيت.

قدمت في هذا اليوم طلباً لمدرسة قيادة السيارات لتحديد موعد للاختبار، وهو الامتحان الأول الذي ذكرت أني لم أنجح فيه[1].

وصل إلى لندن الأخ يوسف الشلفان، وهو أخو الأخ الأستاذ صالح بن عبدالله الشلفان، ودخل في هذا اليوم الأخ محمد المستشفى لإجراء بعض الفحوصات التي اقتضت تنويمه فيه، وقد دونت أن يوسف سكن

---

(١) انظر ما سبق، ص ٥٣ .

في مدينة «توركي» خارج لندن، وكان يذهب يومياً إليها ويعود إلى لندن في الصباح.

الثلاثاء ٣ أغسطس:

في هذا الأسبوع ذهبت إلى الدكتور «كماركس» اليوناني الأصل خمس مرات، وقد أشرت من قبل إلى تتابع الزيارات لعيادته مما أقنعني بعدم جدوى علاجه.

وراجعت مع الأخ محمد طبيب الأنف كما كان مقرراً.

الإثنين ٩ أغسطس:

وصل اليوم إلى السفارة كشف المرتبات والمكافآت ومنها ما يخصني، ولأهمية ذلك أشرت إليه في المفكرة.

الأربعاء ١٨ أغسطس:

الحليب غذاء مهم، ويشترك الشخص فيه عند إحدى الشركات التي تتعهد بإحضاره كل صباح مبكراً، وفي نهاية الأسبوع يدفع الساكن المستفيد القيمة للأسبوع كله. ويبدو أني غيرت في هذا اليوم من شركة إلى أخرى، أو بدلت نوعاً بنوع آخر عند الشركة نفسها، وقد سجلت الجملة الآتية:

«بدء الحليب ذي الغطاء الأصفر».

وهو أغلى من ذي الغطاء الأزرق، وربما أن ذا الغطاء الأصفر كامل الدسم، ولهذا أعطوه اللون الأصفر وهو لون الذهب.

لي موعد الساعة السابعة مع «سالم» ولعله سالم عطاس، وهو صديق للأخ عبدالعزيز القريشي، أو

سالم سنبل، من رجال السفارة.

الجمعة ٢٠ أغسطس:

تواعدت مع الأخ يوسف الشلفان في السفارة لأنهاء أمر يخصه، ثم ذهبنا معاً إلى صلاة الجمعة في المركز الإسلامي.

الثلاثاء ٢٤ أغسطس:

علاقتي مع أسرة «ألن» لم تنقطع، وأزورهم بين وقت وآخر، وأحرص على إرسال بطاقة تهنئة في الأعياد، أو عندما يحل عيد ميلاد أحدهم، واليوم هو عيد ميلاد الابن الأكبر «بول»، وقد أرسلت له بطاقة تهنئة بعيد ميلاده. أما أخوه الأصغر «بيتر» فيوم عيد ميلاده الأحد ٢٩ أغسطس، وعيد ميلاد الأم في يوم

الأربعاء ٣ أكتوبر والأب السبت ١٣ نوفمبر.

الجمعة ١٧ سبتمبر:

كان قد وصل إلى لندن الأخ نبيل بن عبدالرحمن القصيبي، شقيق معالي الأستاذ الدكتور غازي القصيبي، ولم أكن أعرفه قبل ذلك، وعندما وصل بحثت له عن مكان للسكن، وكنت أمر به يومياً ونذهب معاً إلى أماكن نختارها، وكان في طريقه إلى أمريكا. في هذا اليوم ذهبنا معاً إلى بلدة «ويرك سب» ولا أذكر الآن لماذا اخترناها، وقد يكون للأخ نبيل رحمه الله غرض هناك.

في هذا اليوم سافر الأخ محمد مع الأخ يوسف الشلفان إلى مصر في طريقه إلى المملكة.

اتصالي بالأخ الشيخ عبدالرحمن تليفونياً يكاد يكون يومياً لهدف أو آخر.

الثلاثاء ١٩ أكتوبر:

في هذا اليوم تحدد موعد اختبار قيادة السيارة، ولم أذكر هنا شيئاً عن النتيجة، وقد لا تكون هذه هي المرة التي أخفقت فيها.

الخميس ٢١ أكتوبر:

كان يسكن في الغرفة الكبرى، المميزة بأنها تطل نافذتها على الشارع، في «نيفرن سكوير»، رجل هندي كبير السن اسمه السيد «شاند Chand»، وكان مسيحياً ممن نزحوا بعد الاستقلال إلى لندن، ويبدو أن مخططه أن يشتري بيتاً ذا غرف متعددة، يهيؤه للتأجير،

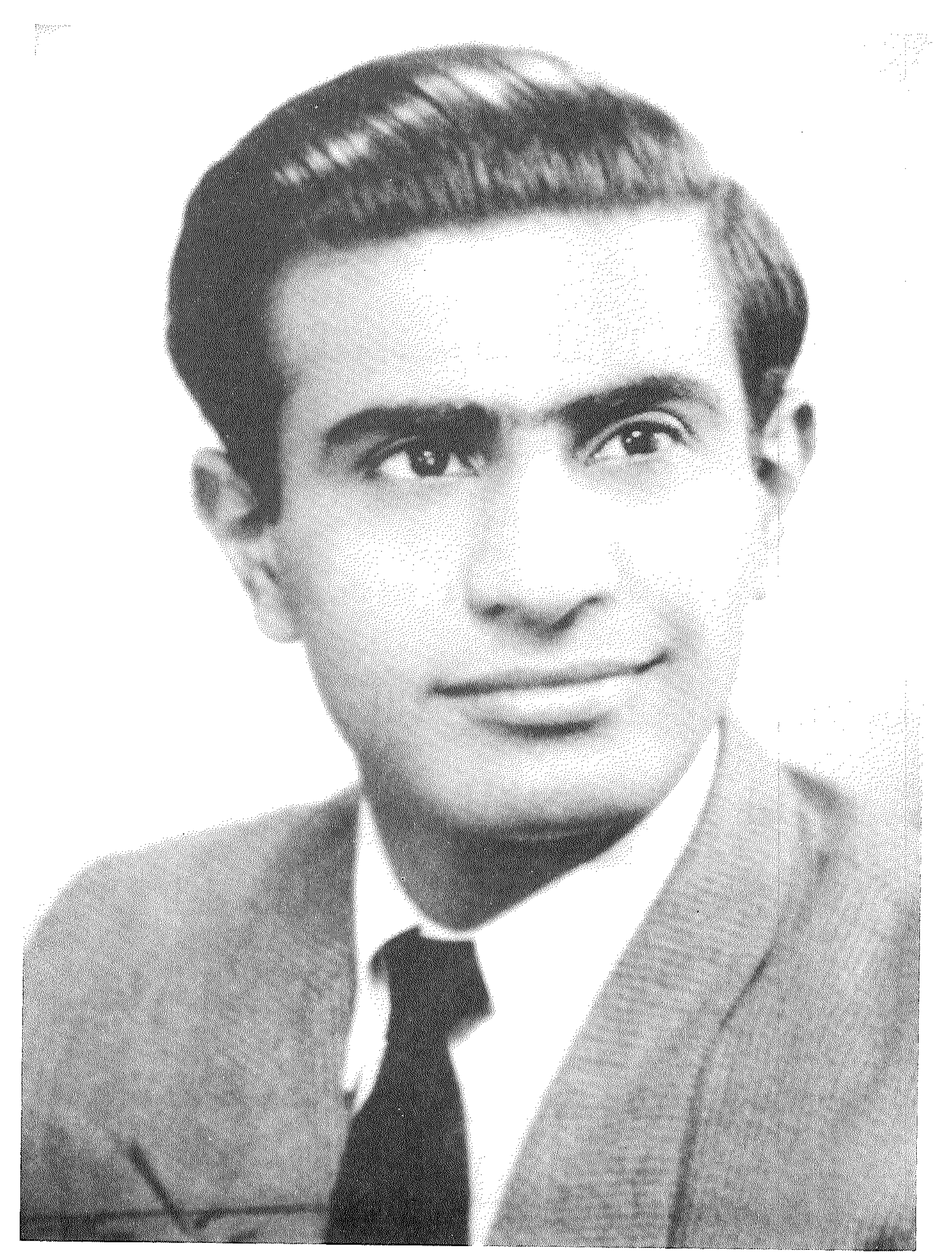
ويعيش مما يأتي منه من أجرة هو وزوجته وابنته، وكنت أزورهم في غرفتهم أحياناً عندما يمرض، وقد توفي في هذا اليوم، بعد أن ترك بيتنا إلى البيت الذي اشتراه على ما أعتقد، لأني لا أذكر أن موته كان في البيت الذي نسكنه، وقد يكون مات في المستشفى.

المهم أنه في يوم الإثنين ٢٥ أكتوبر حرقت جثته في محرقة للموتى في «أدجور رود» في الساعة الثالثة إلا ربعاً، وقد حضرت الحرق هذا من باب العلم بالشيء، وهذا التصرف غريب من رجل مسيحي، ولكن هكذا كانت وصيته، ولم أكن أعرف أنه يمكن أن يحرق المسيحي إلا من هذه الحادثة، ولكن يبدو أن الوصية مقدمة على كل اعتبار ديني أو غير ديني. ويبدو كذلك أن بعض الورثة يحتفظ برماد الجثة، وبعض الموتى يوصون

بذر الرماد على الزهور وأحواضها، لتكون سماداً لها. وبهذا انقطعت صلتي بهذه الأسرة. لقد بقيت معاملة الهنود عند الإنجليز متميزة ويعدونهم رعايا إنجليز، ويعاملونهم معاملة واضح فيها الدلال، والمراعاة الزائدة حتى عن ما يعامل به الإنجليز الأصليون.

السبت ٢٢ أكتوبر:

أطل الشتاء، وبدأ الجو يكفهر ويشهر البرد سلاحه، يعضده المطر، وخرجت المظلات، و «بوالطو» البرد و « البوالطو» الخاصة بالمطر، التي أحياناً تُلبس فوق «بوالطو» الصوف، وأحياناً على البدلة مباشرة، وبدأ قلب الأقدام المسكينة يخفق مما سوف يأتيها من صقيع يوحي بأنه لا صلة لها بالجسم الذي فوقها!.



صورة للأخ عبدالعزيز القريشي أهداها لي

هذا اليوم يوم معدود عندي مهماً، لأن أخي الحبيب عبدالعزيز القريشي قد وصل إلى لندن. والأخ عبدالعزيز صديق قديم وحميم، وكل من عرفه يؤمن بهذا، فهو محبوب من جميع الطلاب الذين عرفهم أو عرفوه في مصر، لا يأتي منه إلا الخير، أما الشر فلا يعرفه ولا يجرؤ الشر أن يقترب منه، فليس للشر مجال في تلك النفس الصافية المضيئة. فيه هدوء مقدر، وطيب نفس محببة، خلقه مشع، ورزانته مسيطرة، وعقله يقظ منير. وكنت سعيداً بمعرفته في مصر، وكان لي معه ذكريات جميلة، بعضها مسجل بالصور.

ومن الأوقات السعيدة التي قضيتها معه كانت بصحبة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن عثمان، أحد موظفي الديوان الملكي أيام الملك عبدالعزيز والملك

سعود ـ رحمهما الله ـ وهو شقيق الشيخ عبدالله بن عثمان، رئيس الديوان الملكي في تلك الأيام، وقد جاء الشيخ محمد إلى مصر ومعه ابنته التي كانت في حاجة إلى علاج، وكنا ثلاثتنا لا نكاد نفترق، (محمد وعبدالعزيز وأنا)، فمن رحلة إلى حلوان إلى أخرى إلى القناطر الخيرية، إلى أماكن الزيارة داخل القاهرة أو في إحدى الضواحي، ويبدو أن معرفة الأخ عبدالعزيز بالشيخ محمد قديمة.

لم يكن يخطر ببالي حينئذ، وأنا بصحبة الشيخ محمد العثمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الأيام ستدور، وسوف أتزوج ابنة أخيه عبدالله، وتصبح أم أولادي، ولم تكن خطبتي إياها لها صلة بمعرفتي للشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو عن طريق معرفتي بأخيها عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما كان



في إحدى الحدائق في مصر، من اليمين: عبدالعزيز القريشي، ثم علي الراشد، ثم عبدالعزيز الخويطر، ثم محمد بن عثمان



صورة في إحدى الحدائق يظهر فيها الأخ عبدالعزيز القريشي من اليمين، وبجانبه محمد بن عبدالعزيز العثمان ثم علي السعد الراشد

بمصر ضمن طلاب البعثة، وإنما كانت الخطبة عن طريق ابن عمي عثمان العبدالله الخويطر، الذي كان حينذاك يعمل مع الشيخ عبدالله بن عثمان في الديوان الملكي، فهو وأهله هم الذين ذكروها لي - جزاهم الله خيراً.

سوف أقضي مع الأخ عبدالعزيز بن زيد القريشي أياماً جميلة، لا يزاحمني فيها أحد، إلا الأخ أحمد السليمان الذكير صديقه المتميز، عندما يصل إلى لندن، وأحمد رحمه الله توطدت صلته بالأخ عبدالعزيز عندما تزاملا في كلية التجارة في جامعة فؤاد الأول في القاهرة، وبقيت هذه العلاقة الحميمة، وأحمد لم يتزوج رحمه الله، وبقي في مصر بعد أن قامت الثورة في العراق، وبدأت الأمور تسوء هناك في العراق، مما جعل كثيراً من الأفراد والأسر العراقية تبقى حيث هي.

الأحد ٢٤ أكتوبر :

عندما انتقلت من المسكن الذي في «وست كرمول» إلى مكان قريب منه في «نيفرن سكوير»، وسكن صديق لي في المبنى نفسه، إلا أني كنت في الطابق الأرضي، وهو في طابق أعلى، وهذا النوع من البيوت هو أقرب إلى «البانسيونات» في مصر. هناك للشخص غرفة خاصة، ولكن الحمام مشترك مع من في الطابق من الساكنين، كما سبق أن ذكرت.

وكان هناك سيدة مسؤولة عن البيت، تعتني بأموره وبأمور الساكنين، وكانت امرأة خيّرة، ويساعدها في بعض الأحيان شابة جميلة اسمها «إلاّ» وبقي اسمها في ذهني لأننا أحياناً نناديها «عِلّة»، وهذه الكلمة تظلمها بحق، لأنها لم تكن عِلّة لا في مظهرها وجمالها، ولا

في خلقها وحسن خدمتها. وكانت السيدة المسنّة، المشرفة على البيت، تعطف على هذه الشابة إلى الحد الذي جعلنا نظن أنها ابنتها.

وقد توطدت العلاقة بين صديقي والسيدة المشرفة على البيت، لأنها استلطفته، وشعرت بحنيّة نحوه، لأنه لا يتكلم اللغة، وكانت كثيراً ما تمزح معه، وتداعبه، ولأنها كبيرة في السن تقوله له: «في ليلة ما ستجدني عندك في منتصف الليل»، ولا شك أن تقدمها في السن يبعد عنها الشبهة، ولكنه يعطينا فرصة أن ندخل في الموضوع دخول خبث. وكان صديقي يتأذى من البرد ويشعر به داخل عظامه، ولهذا كانت تزيد له في عدد البطانيات، وتقول له: «إن لم تكف هذه جئت أدفئك بجسمي»، ونحن عند الترجمة نزيد فيما تقول

ونحرِّف، و «نخبص المسألة».

وأذكر مرة أن السيدة طلبت من صديقي أن تلتقط لها هي و «إلاّ» وهو صورة فوتوغرافية، أمام البيت، وكانت الشمس قد طلعت في ذلك اليوم بعد طول انتظار، فوافق، ووقف ثلاثتهم أمام «الكاميرا»، وبعد أن أعددت آلة التصوير قلت لصاحبة البيت:

ما رأيك في أن أقول لصديقي جملة واحدة تجعله يتراجع عن موافقته على التقاط الصورة؟

فقالت: كيف تستطيع هذا، وهو كما ترى، سعيد بهذا، وكان ينتظر طوال هذه الأيام بزوغ الشمس.

فقلت: سوف ترين!.

قلت لصديقي: أتدري لماذا هذه المرأة هي و «إلاّ» تريدان التقاط صورة معك بإلحاح وتصميم؟

فقال: نعم، أدري، إنها صورة للذكرى.

فقلت: لا، أنا قد لاحظت أن بطن الشابة يكبر، وأخشى أنهم يريدون أن يلصقوا بك التهمة، فيدّعون أن الجنين ابنك، وهذه الصورة الباسمة تدل على السعادة التي تغمرك وأنت تقف مع هذه الشابة الجميلة.

فذعر، وانفرط بسرعة من بينهما، وأسرع ووقف خلفي وخلف آلة التصوير،، وكانت دهشتهما بالغة، أما أنا فكاد يغشى عليَّ من الضحك.

وقد شرحت للمرأتين الموقف فشاركتاني في الضحك، وركضتا خلفه، وحاولتا أن تمسكاه بالقوة، وأخذتا تطاردانه لأخذ الصورة، وكان الموقف طريفاً، وهما تركضان خلفه حتى أمسكتاه، وأُخِذت الصورة. وقد أدرك هو الحقيقة، فرأى أن ينسجم مع الوضع،

وأن يتمتع بهذه المطاردة، ليت «الفيديو» قد اخترع حينذاك!.

وما ذكرته عن إلصاق التهمة بالبريء في مثل هذه الحالة ليس بعيداً عن الذهن، ولا غريباً عن ذلك المجتمع، لكثرة العبث، وتعدد العابثين رجالاً ونساءً. أذكر أني مرة في هذا البيت نفسه رأيت منظراً ليس غريباً هناك، كان يسكن معنا شابة، نراها في المطعم في وقت الوجبات، خاصة الإفطار. وفي ليلة من الليالي رأيتها مع صديق لها عند الباب الخارجي في وقت متأخر من الليل، وهما في موقف غرامي عنيف، فمررت بها في طريقي للدخول إلى البيت. فدخلت إلي غرفتي وصليت، ولبست ثياب النوم، وأخذت أقرأ تمهيداً للنوم في كتاب مسلٍّ، وبعد برهة سمعت طرقاً على الباب، ففتحته، فإذا بالشابة

واقفة، فاستأذنت في الدخول، وقبل أن تسمع الإجابة دخلت إلى منتصف الغرفة، ووقفت أنا عند الباب، وذهبت هي إلى السرير، فأبقيت الباب مفتوحاً، فبدا لي أنها قد أخذت كؤوساً من الشراب، وأبدت رغبتها في أن تقضي الليلة عندي، وقالت: إن الليلة شابة وكذلك أنا وأنت. فاحتلت عليها، وأخذتها إلى غرفتها.

وقد جاء في ذهني أنها قد تكون دخلت مع هذا الشاب في علاقة غرامية متقدمة، وتورطت، وأنها، وهي بحالة غير طبيعية، قد فكرت بشيء وحدها أو مع صديقها، لهذا حمدت الله لما أدخلتها غرفتها، وخلافاً لتعنيف أحد الزملاء العراقيين لمّا أخبرته بما حدث واتهامه لي بنقص الرجولة، رأيتها في اليوم التالي، وشكرتني بحرارة على موقفي عندما لم استغل ضعفها، والعصمة من الله.

الخميس ٤ نوفمبر :

كان الأخ عبدالكريم الذكير قد وصل إلى لندن يوم الأربعاء ٢١ يوليه، وأخذ يتابع الكشوف الصحية التي كان سبق أن بدأها في رحلته السابقة، وبجانب العملية الجراحية التي أجريت له في الرئة فعنده الآن شكوى في إحدى فقرات الظهر.

الأربعاء ١٠ نوفمبر :

صلتي بآل «ألن»، وتواصلي معهم مستمرة، ولا تقتصر على إرسال بطاقات التهنئة في المناسبات المتعددة، وإنما هناك زيارات بين آن وآخر، وقد قمت اليوم بزيارة لهم، ويوم السبت القادم ١٣ نوفمبر يحل يوم عيد ميلاد السيد «ألن».

الدراسة حامية، والبحث يجري الأمر فيه على قدم وساق، فبعضه يتم في مكتبة الكلية، وبعضه في القاعة الشرقية في المتحف البريطاني، وهو المكتبة الوطنية في انجلترا، وأحياناً أذهب إلى باريس لمراجعة بعض المصادر في المكتبة الوطنية هناك، كما سبق أن ذكرت، والرحلة لا تزيد عن يومين أو ثلاثة، لمعرفتي بمراجعي هناك، وقد دونت ما أريد أن أبحث عنه قبل سفري.

الثلاثاء ١٦ نوفمبر :

مللت السكنى في البنسيونات، واشتقت إلى السكنى مع الأسر، فبدأت اليوم بالبحث عن عائلة لأسكن معها، والمعتاد في مثل هذه الحالة أن أضع إعلاناً في إحدى الصحف، خاصة المسائية. ومن أكثر صحف

المساء انتشاراً «أخبار المساء»، فقراؤها كثيرون، يقرؤها الناس وهم خارجون من عملهم في المساء عندما يركبون إحدى وسائل المواصلات، سواء كانت حافلة أو قطاراً، أو قطار ما تحت الأرض، وعندما يصل الشخص بيته يتعاقب أهله قراءتها، كل يركز على الصفحات التي تهمه، حتى ينتهي أحدهم بحل الكلمات المتقاطعة التي هي إحدى التسليات في وسيلة النقل أو في البيت، ويمر الوقت دون أن يُشعر به، لأنها تأخذ وقتاً، وتحتاج، بجانب الثقافة الواسعة، إلى صبر وأناة، وما على الشخص، مهما طالت الرحلة، إلا أن يرفع رأسه عندما يقف القطار مثلاً في إحدى المحطات، وما أكثرها أحياناً، فيتأكد الراكب أنها ليست محطة نزوله وهكذا إلى أن ينتهي إلى محطته، فيطوي الصحيفة، ويضعها تحت «البالطو» عن المطر،

ليستفيد منها من خلفه في البيت.

والإعلان الذي وضعته في جريدة المساء هذه هكذا:

«طالب أجنبي في جامعة لندن يرغب السكنى مع أسرة إنجليزية في نطاق لندن».

الدكتور حامد حسن:

تعرفت على الدكتور حامد حسن عند الشيخ عبدالرحمن الحليسي، ويبدو أنه عاش أول حياته في الهند أو في باكستان، وجاء إلى جدة أيام الملك عبدالعزيز، وعاش فيها، وتزوج من أسرة كريمة هي أسرة السادات، ويؤكد هو أنه عربي الأصل، وأن أهله هاجروا إلى الهند حيث ولد وتعلم، وأظن

أن اختصاصه أشعة، وعمل فترة في مديرية الثروة المعدنية في جدة، وهو رجل طموح، وطموحه يتعدى إمكاناته، ولهذا لم يثبت على عمل، ويبدو أن السبب أنه ليس في يده رأس مال يسمح له بخوض معترك التجارة، ويقال إن الشيخ محمد سرور حاول أن يساعده وأعطاه مبلغاً من المال، ولكنه لم ينجح فيما قام به، فسافر إلى انجلترا أملاً أن يجد بغيته هنا.

للدكتور حامد زوجة فاضلة، لها منه ولدان، أحدهما طلعت، وقد حصل على الدكتوراه في الجيولوجيا، ووجد عملاً في الإمارات العربية المتحدة، فعمل هناك. ومأمون، وكان متعلقاً بالأفلام، وقد عمل فيلمًا مع وزارة الإعلام السعودية كما سمعت.

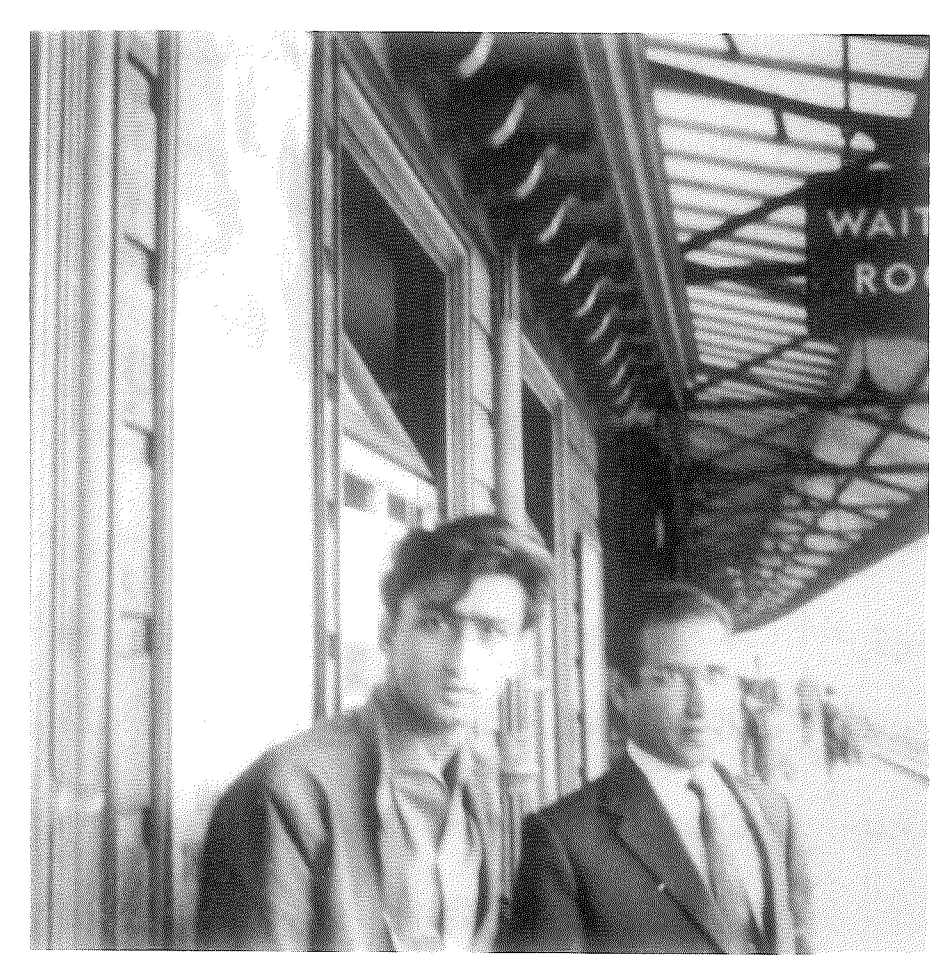
وبدأ الدكتور حامد عمله في التجارة وكيلاً

تجارياً، وقد حاول أن ينوع عمله، وأن يضع سنارة في كل بحر، فحاول أن يسوِّق صابون غسيل رَكَّبه، ولكنه لم ينجح لأنه لم يكن لديه الإمكانات المادية لتسويقه، والدعاية اللازمة له، ومثل هذا يحتاج إلى مال غزير لهذا الغرض.

ويبدو أن إتقانه للغة الإنجليزية، ومقدرته علي النجاح فيما يراجع فيه الدوائر الحكومية وغيرها، اكتشف من قبل الأخ عبدالعزيز التركي، الملحق الثقافي بلندن رحمه الله فألحقه بالعاملين في المكتب، واستقر كما علمت هناك، لأنه نفع وانتفع.

كان الدكتور حامد طيباً وكريماً، وكان كثيراً ما يدعوني لتناول الغداء أو العشاء عنده في البيت، وطبخ السيدة أم طلعت لا مثيل له، سواء كانت

الوجبة عربية أو أوروبية؛ وكانت تنوع فيها تقدمه، وكل نوع تظن أنت أنه أحسن مما قبله. وكان لها أخ اسمه محمود عمل مع الدكتور حامد بعض الوقت في بعض الأعمال التي اتجه لها في وقت من الأوقات، وعمل على ما أذكر في الإذاعة البريطانية. وفهمت أنه تزوج سيدة إنجليزية، وهو زواج لم يرض أهله. والزواج من إنجليزيات فيه إغراء لمن سوف يقيم مدة طويلة، لأن هذا يسهل له أمر الحصول على الجنسية، ويفتح أبواب الوظيفة نوعاً ما، وفيه استقرار. وقد تزوج مأمون حامد حسن إنجليزية حسب ما سمعت فيما بعد، وهو شيء لا يستغرب، خاصة من عمل في الحقل الذي عمل فيه مأمون، أما طلعت فتزوج من إحدى قريبات والدته.



مع مأمون ابن الدكتور حامد حسن في محطة القطار

الثلاثاء ١٤ ديسمبر :

سافرت هذا اليوم إلى باريس، وكان ذلك لغرض علمي يخص الرسالة التي أعدها، وسوف يكون نشاطي في باريس كله في المكتبة الوطنية هناك. وكان اهتمامي منصباً على كتابين لا يوجدان إلا في هذه المكتبة المركزية الوطنية، والكتابان هما: «المناقب السِّرِيَّة...» لشافع بن علي عن بيبرس، و «نهاية الأرب» للنويري، وسوف أسعى لتصويرهما. وهناك مراجعة لكتب أخرى، ومقارنات بين ما لديّ مما استقيته من مراجع في لندن مع ما هو متوافر هنا، وقد أتممت ما جئت من أجله، وعدت إلى لندن يوم الثلاثاء ٢١ من الشهر.

ولي في باريس ذكرى لطيفة، فقد سكنت في فندق صغير قرب المكتبة الوطنية حتى أتفادى الاحتكاك

المزعج من ناحية اللغة والتصرف مع المواصلات، خاصة وأن تجربتي مع تلك غير مشجعة، لأن الفرنسيين معتزون بلغتهم، ولا يريدون أحداً أن يتكلم بغيرها، ويغبطون اللغة الإنجليزية على جاذبيتها للأجانب. ولغتي الفرنسية تفيدني في القراءة ولكنها لا تفيدني في المحادثة. ومشكلتي معهم أني عندما أسألهم السؤال يتساءلون بسؤال آخر، وهذا السؤال يجعلني في حيرة، فإذا قلت لأحدهم: كيف أصل إلى المكان الفلاني؟ بعد أن أكون قد انتقيت الكلمات، ونظمت الجملة، فيرد عليَّ المسؤول بقوله: آه أنت تريد المكان الفلاني، أليس كذلك؟ ويقولها بطريقة أخرى، غير طريقتي، وبكلمات أخرى، تكون كالمعتاد متداخلة، وقد يكون سؤال المسؤول لي: هل سوف تذهب راكباً أو راجلًا؟ فألجأ إلى جواب لا يفيد، فأقول مثلاً: نعم، وسؤاله يقتضي

غير ذلك، يقتضي أن أقول: راكباً أو راجلًا. وهذه الصعوبة ليست وقفاً على اللغة الفرنسية، وإنما تشترك معها اللغة الإنجليزية، لأن السائل الأجنبي تكون جملته غير واضحة للمسؤول، فللتأكد يعيد ما يعتقد أنه فهمه من السؤال، فيتيه السائل في غابة كثة من الإبهام، ويجيب جواباً قد يكون صواباً بالصدفة.

ركبت يوماً قطار «المترو» في فرنسا ويبدو أني تجاوزت المحطة التي أريدها، فنزلت من القطار لآخذ قطار العودة للمحطة التي تجاوزتها، وظننت أن الأمر مثل انجلترا مادمت في داخل المحطة فتذكرتي تكفي، فتبين أن النظام في فرنسا يختلف، ويعدّ الراكب خرج من نطاق التذكرة التي معه، إذا انتقل من رصيف لرصيف، وعندما لاحظ المسؤول عن المحطة أني خرجت عن نطاق التذكرة طالبني بدفع قيمة تذكرة جديدة، فلم

أفهم منه، ولم يفهم مني أسباب حيرتي فيما يقول، ويبدو أن المطلوب كان مبلغاً طفيفاً، وسمع الحديث شاب فرنسي يعرف اللغة الإنجليزية، فتبرع، وبدون فهم مني لما يجري، ودفع المبلغ المطلوب، وأبى بإصرار بعد أن فهمت الوضع، أن يقبل أن أعوضه، والفرنسيون في عاطفة أقرب إلينا من الإنجليز، فلو كانت الحادثة في انجلترا لما تدخل شاب دون أن يُستدعى!.

قلت إني سكنت في الفندق المجاور للمكتبة، وكان فندقاً صغيراً خاصاً، وصاحبته سيدة كبيرة في السن، ومرحة بشوش، تحرص على إرضاء زبائنها، وهذا هو الذي يحبب في الفنادق الصغيرة الخاصة، حتى كبار القوم أحياناً لا يفكرون في الفنادق الكبرى، ويفضلون أمثال هذا النزل، وإذا كان عندهم اجتماعات مهمة يجدون عناية لا يجدونها في الفنادق ذات النجوم

الخمسة، والسبب أن صاحبة الفندق أو صاحبه يحاول ألا يخسر أحداً من زبائنه، أما الفنادق الكبرى فمن يخدم فيها هم موظفون لا يحرصون على الخدمة إلا في حدود ما لا يوجب عقابهم، وقد تغيرت الحال مع المنافسة الشديدة، فصار المدير مثل مالك الفندق الصغير، يهمه رضى الزبون.

كان هناك، كما يتوقع دائماً، شابة نشطة تساعد السيدة صاحبة الفندق أثناء النهار. وقد اختاروا لي غرفة مناسبة، حسب رغبتي. وكانت الشابة تتكلم اللغة الإنجليزية، فلم أجد صعوبة في شرح ما أريده، وفي إحد أيام إقامتي عندهم نزلت مبكراً، وتناولت إفطاري، ولم تكن الشابة قد وصلت بعد، وكنت أود أن أذهب إلى البنك لصرف بعض الشيكات السياحية، فسألت السيدة صاحبة الفندق عن أقرب فرع لأحد

البنوك، بعد أن اخترت الكلمات، وصغت الجملة، وعندما جئت عند كلمة «بنك» استعملت عقلي، وليتني لم أستعمله، وهذه من الحالات التي يغلب العلم فيها العقل، وقلت في نفسي كلمة «بنك» أشبه ما تكون بالكلمة العالمية، وما عليَّ لتكون فرنسية إلا أن أحذف آخر حرف، فنطقتها «بان» Ban بدلًا من Bank، فظنتني أقصد أني أريد غرفة بحمام غير هذه الغرفة وحمامها، فأرتني واحدة حمامها أوسع، فحاولت أن أُفهمها أن هذا ليس هو المقصود، فلم تفهم مني، فأرتني أخرى فيها اختلاف عن الأولى، وصرنا ننتقل من غرفة فيها حمام إلى أخرى. ولما لم يفد هذا كله نزلنا إلى صالة الاستقبال، ومن حسن الحظ وجدنا الشابة قد وصلت، فشرحت لها الأمر، وبمجرد ما سمعت السيدة نطقي لكلمة «بنك» باللغة الإنجليزية أدركت

سبب سوء الفهم بيننا، وأخذت تضحك، وتصفق بيديها من العجب، ولعلها قصَّت هذه القصة على بعض زبائنها أو كلهم!، وأصبحت إحدى المُلح التي يُتندر بها عليَّ وعليها. وقد تبين فيما بعد أن كلمة بنك باللغة الإنجليزية والفرنسية نطقها متشابه والاختلاف في كتابتها فقط، فهي باللغة الفرنسية تكتب Banque، وإضافة que إلى Ban تنجيها من الحذف. وبهذا أخذت درساً لا يمكن أن أنسى معه هذه الكلمة، ولا أدري هل كان ما في الشيك يساوي هذا التعب!.

وهذه القصة تذكرني بما رواه قبل سنوات الأخ عبدالرحمن الإبراهيم القاضي، عندما كان طالباً في المدرسة الإبراهيمية، أو السعيدية، في المرحلة الثانوية، في مصر. وكان مقرراً عليهم دراسة اللغة الفرنسية، وصادف أن غاب مدرس المادة، فملأ مكانه مدرس

آخر ليس ضليعاً في هذه اللغة، وعندما دخل الفصل سأل الطلاب عما هو مقرر في هذه الحصة، فقالوا إملاء فرنسي، فكتب هذا الأستاذ على السبورة Dictation كما تكتب باللغة الإنجليزية، ثم نطقها نطقاً فرنسيّاً، وقال «ديكتاتيون»، وهذا أضحك الطلاب لأن حقيقة نطقها وكتابتها Dectalé. على أي حال قد لا تكون هذه الحادثة حدثت ولكنها من تصنيفات عبدالرحمن المعتادة.

الأربعاء ٢٢ ديسمبر:

الإعلان الذي وضعته في الصحيفة عن السكن مع عائلة جاء بردود متعددة، وقد اخترت واحداً منها، وقابلت الأسرة التي استجابت للإعلان، واخترتهم، ولهذا بعد يوم واحد من عودتي من باريس انتقلت إلى مسكنهم، وهذه الأسرة اسمها أسرة آل «بل»، واسم

أب الأسرة Charles واسم الأم Rona (شارلز ورونا)، وهذه الأسرة تختلف كثيراً عن الأسرتين السابقتين، فحال هؤلاء المادية طيبة،وسنهم مناسب، وهما متقاربان في السن، ولهم ابن «تِم» Timathy وابنة «بِني» Pinalope، وهما قريبان من سني، فكلاهما في أعلى مرحلة في الثانوية. وقد التحق الابن بجامعة أكسفورد في هذه السنة بعد أن أتم الثانوية، والابنة حاولت أن تدرس التمريض، ولكنها لم تصمم على ذلك، وأظن الأمر انتهى بها إلى أن هاجرت إلى أستراليا، إذا لم تخني الذاكرة.

وهذه الأسرة أسرة مرحة، ليس عندهم عُقَد، وهم أناس منطلقون، لا تكاد تشعر وأنت معهم أنك مع إنجليز. كان الوالد يعمل مديراً لأحد فروع بنك باركليز، وهو

من أكبر البنوك في انجلترا، والأم ربة بيت، وربما أن مؤهلها العلمي والثقافي لم يغرها بالالتحاق بعمل، أو أنها اختارت أن تتفرغ لبيتها وزوجها وولديها. وهي امرأة قوية الشخصية في الحدود المقبولة، وذات إرادة وتصميم، وتخضع الأمور للعقل والمنطق حتى في أمر الدين المسيحي، ولهذا وهي كاثوليكية تزوجت السيد «بل» وهو بروتستانتي، ويبدو أنها تزوجته وأسرتها غير مرتاحة من هذا الزواج، لاختلاف المذهب، وقد يكون هذا هو السبب في عدم قوة صلتها بوالدتها التي تعيش في بيت للعجزة،ورغم أنه لا يبعد عنا أكثر من ثلاثين ميلاً بالقطار إلا أنها لم تزر أمها، ولم تذكرها إلا عندما حل عيد الكريسماس، فأرسلت لها بطاقة معايدة.

ويبدو أن صلتها بخالتها كانت أكثر قوة، واسم خالتها «رين» Rene، وقد زارتنا وبقيت معنا ما يقرب من أسبوع، وكانت بدينة نوعاً ما، وأذكر أنها جلست في ليلة من الليالي على أحد الكراسي الوثيرة، وعندما أرادت أن تنهض منه لم تستطع لأن جسمها انحشر فيه، ولم نستطع إخراجها إلا بعد لأي، وكانت هذه الحادثة من اللطائف التي أصبحت مجالاً للحديث والتندر.

لقد شعرت مع هذه الأسرة بسعادة غامرة، لأنهم كانوا يتصرفون تصرفاً طبعياً لا تكلف فيه، ولا يخفون انتقادهم لبعض طقوسهم الدينية، مما جعلهم لا يذهبون إلى الكنيسة أيام الأحد، وكانوا لا يتظاهرون بحب شيء لا يحبونه، وكانوا صرحاء ولكن بطريقة مؤدبة، فكانوا مثلاً للحضارة الراقية.

أول يوم جئت لزيارتهم كان ابنهم معه صديقة له، وكنا جلوساً على المائدة لوجبة العشاء، وكان كلامهم يدور حول طرق تحديد النسل وموجباته وفوائده وأضراره، وكان حديثاً طويلاً ووافياً. وقد التفت إليَّ السيد «بل» وقال:

«لا أدري ما هي الفكرة التي ستأخذها عنا، وهذا هو الحديث الذي نقابلك به في أول يوم تزورنا فيه! لا أستبعد أنك عندما تخرج لتحضر هدومك غداً لن ترجع إلينا، خوفاً على أخلاقك».

والحقيقة أن أخلاقهم في منتهى القوة، وكلهم في أعلى درجات الاستقامة، رغم بعض المظاهر التي توهم من لا يعرفهم بخلاف ذلك، ومن هذه المظاهر مثلاً أنه عندما يرى ابنة جيرانهم مع صديقها في موقف

غرامي يخبرني بذلك، ويقول:

«اذهب وانظر إليهما، فهذا خير من فيلم في السينما».

وعدت مرة للبيت في وقت غير الوقت الذي اعتدت العودة فيه، وعندما صعدت للطابق الثاني وإذا السيدة «بل» خارجة من الحمام عارية تماماً (ربِّ كما خلقتني) متجهة إلى غرفتهما، فلما رأتني لم تزد عن أن تقول:

هذا أنت يا عزيز؟

قلت: نعم.

وكانت هذه الحادثة حديث السهرة تلك الليلة، بل حديث الأسبوع مع المعارف والأصحاب الذين يزوروننا، والسيد «بل» يعتذر من إيذاء بصري بهذا المنظر القبيح.

ومررت بحادثة أخرى مماثلة،ولكنها مع الابنة، كنت خارجاً من غرفتي متجهاً للحمام في وقت لم تتوقع ابنتهم أن هذا يحدث، وكانت أيضاً عارية، وهي خارجة من الحمام ذاهبة إلى غرفتها، فضحك كل واحد منا على هذه الصدفة، وكانت هذه الحادثة موضوع حديثنا على المائدة في المساء، وكان تعليق السيد «بل» على هذا الموقف:

«مسكين يا عزيز أراك تبتلى بين آن وآخر بهذه المناظر المؤذية، ولا ذنب لك، ولكن أراد الله لك أن تذوق شيئاً مما أعانيه، فلتحمل عني بعض هذا الحمل الثقيل.

والمرح يجري في دم السيد «بل»، لقد جمع في أحد أيام الأحد من الأسبوع ورق الشجر المتساقط أيام

الخريف، وبعض الأغصان الجافة في الحديقة، وأوقد فيها النار، وكان وهو يفعل ذلك لابساً «شورت»، فناداني، وفي يده غصن كان يجمع به الأوراق المبعثرة، ويضعها على لهب النار، وأعطاني غصناً آخر مماثلاً لما في يده، وقال:

«دعنا نمثل الهنود الحمر، ونرقص على هذه النار المشتعلة مثل رقصهم».

ثم أخذ يرقص وأنا معه حول هذه النار المشتعلة، ويُظهر هو أصواتاً لا معنى لها، تشبه أصوات الهنود الحمر. وكان مظهراً فريداً لمدير بنك وطالب دكتوراه يقومان بهذا التصرف، وليت هناك من صوّر هذا المنظر!

واقترح عليَّ مرة أن نذهب معاً هو وأنا في نهاية

الأسبوع إلى «كيو جاردنز» أو «ريشمند»، وهما حديقتان كبيرتان، يقصدهما الناس للمتعة والتسلية، ونبيع «آيسكريم» هناك على زوار الحديقة، وما أكثرهم، وما علينا إلا أن نستأجر إحدى العربات، وندور بها في ممرات الحديقة حيث يتجمع الناس، وهناك ربح مضمون على الأقل يكفي أن يجعلنا نحتفظ بما يبقى ونأكل منه في الأسبوع القادم، هذا زيادة عما نأكله ونحن ندلل على بضاعتنا.

كانت غرفتي في هذا البيت صغيرة وجميلة، وتطل على الحديقة التي في مقدمة البيت، الذي يطل على شارع رئيس، وكان عنوان البيت:

131, Mort Lake Road, Kew Gardens,
Richmond, Surry.

وقد باعوه بعد أن تقدم بهما العمر، وانتقلا إلى شقة في حي ريفي مجاور، لأن السيدة «بل» لم تعد تتحمل عناء تنظيف البيت بعد مرض ألمّ بها هي وزوجها، وقد زرتهما في المسكن الجديد.

كانت الحياة تجري في بيتهم في «مورتليك رود»، سهلة متراخية في آخر الأسبوع، وكنا يومي السبت والأحد (مثل يوم السبت ٢٥ ديسمبر) لا نستيقظ إلا الساعة الثانية عشرة، ونفطر الساعة الواحدة، إلا أني أستيقظ لصلاة الفجر، ثم أعود فأنام، وكان الغداء والعشاء في ذلك اليوم وجبة واحدة. وكانت وجبة مجزية حقاً، فإما أن تكون «بطة» أو ما يسمونه «سندي جوينت»، وهي قطعة لحم كبيرة تشد بخيط يجمعها، وتدخل الفرن حتى تستوي، ويكون على جوانبها عدد من حبات البطاطس،

تتشرب ما ينزل من اللحم، فيصبح لها طعم لذيذ جداً.

في نهاية هذا الأسبوع، المنتهي بأول يناير، كتبت في المفكرة هذه العبارة التي لعلي نقلتها من كتاب أو مجلة، ولا أذكر من قائلها:

"In the higher instincts are devine truth which transcend reason".

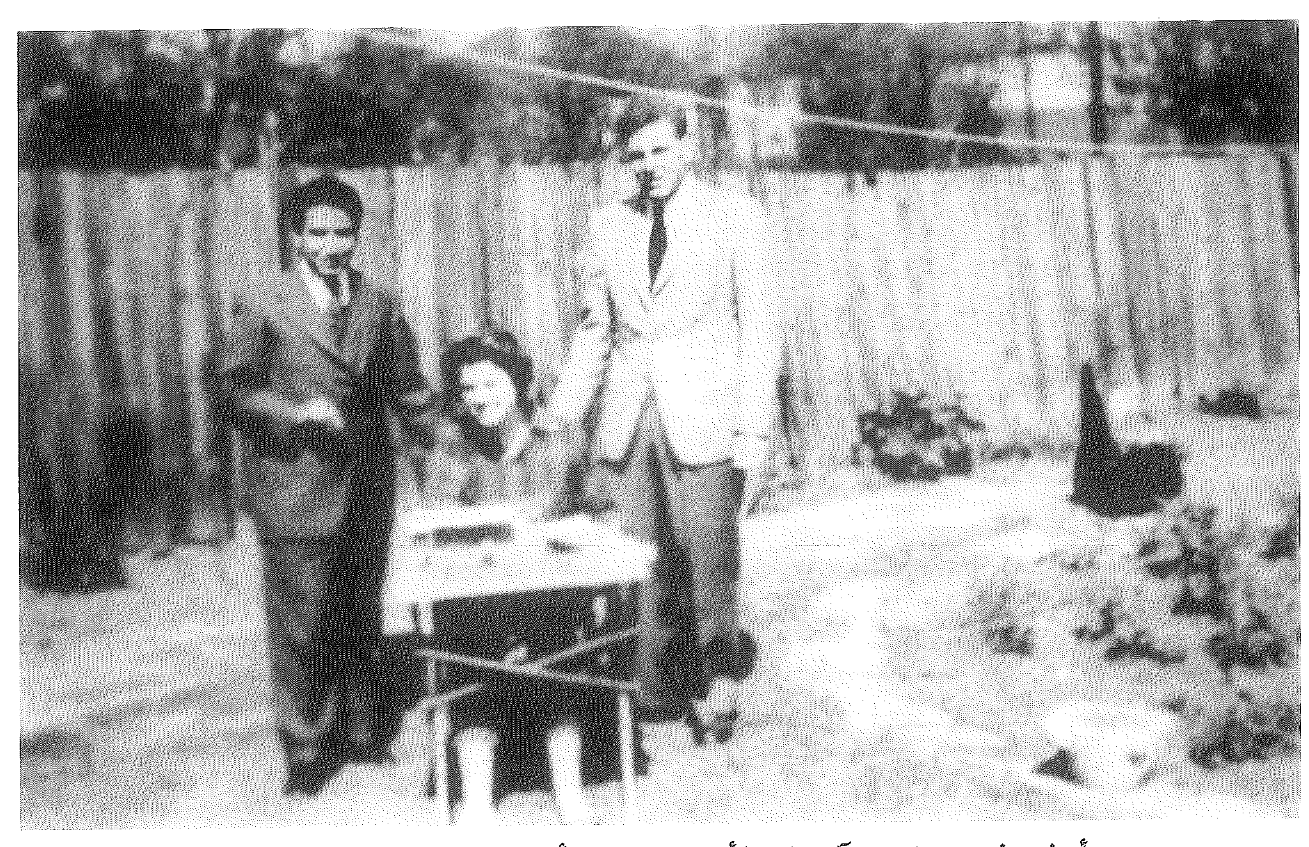
وكتبت تحتها ترجمتها التقريبية:

«في الجِبلّة العليا، أو الغريزة الراقية رؤية للحق، أو لصادق الأمور وصحيحها مما يتعدى ويفوق الأسباب المقنعة عادة».

وهذا يعني أن الغريزة أصدق في معرفة الحقيقة من التفكير وهذا يفسر اعتناق الأديان دون الغوص في الأسباب المنطقية.



صورة تجمع بيني وبين الأخ عبدالعزيز بن زيد القريشي عند مدخل أسرة آل «بل»
وتظهر معنا في الصورة الأسرة: الأم والأب والبنت



أخذت في حديقة بيت آل «بل» الأسرة التي كنت أسكن عندها، وقد زرتهم اليوم
وهذه صورة لي مع ابنتهم وأخيها في حديقة بيتهم الخلفية في عام ١٩٥٥م.

ولإعجابي بهذه الجملة صرت أنقلها من مفكرة سنة إلى ما تليها.

***

لقد انتهت بهذا مفكرة هذه السنة (١٩٥٤م) وفيها مما لم أذكره في مكانه من التاريخ الأمور التالية:

وفاة الملك عبدالعزيز:

دون في آخر المفكرة تاريخ وفاة الملك عبدالعزيز، ولعل هذا التدوين جاء في أول العام حتى أرجع إليه عند اللزوم في هذا العام، وإلا فالوفاة قبل ذلك بعام، وبالتحديد في يوم الإثنين ٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٣هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٩٥٣م في مدينة الطائف، وقيل حينئذ أن عُمره ثلاث وسبعون سنة، وبعض المحققين، ـ وهم أقرب إلى الصواب ـ قالوا إن عمره ثمانون سنة

عند وفاته رحمه الله لأنهم يستدلون من بعض الحوادث أن ولادته كانت في عام ١٢٩٢هـ.

وقد رثاه التليفزيون الإنجليزي والإذاعة والصحف وكتبوا عنه كتابات ضافية، تليق بملك له إنجازات مثل إنجازاته، وشغل ذكره العالم فترة غير قصيرة، وأثبتوا جدارته التي تستحق أن تبرز.

مرتبي الشهري:

كنت قد تحدثت عن تقدمي لجلالة الملك سعود رحمه الله بطلب جعل دراستي على حساب الدولة، فأمر لي بأمر برقي بمبلغ خمسين جنيهاً شهرياً، حسب ما اقترحته السفارة ورقم الأمر ١٦٤٩١ وتاريخ ٢٣/ ٥/ ١٣٧٣هـ، ابتداءً من محرم عام ١٣٧٣هـ،ولكن وزارة

المالية خفضته إلى أربعين، ورقم قسم المحاسبة ٢٨٠٧ / ٣ وتاريخ ٢٤/ ٧/ ١٣٧٣هـ، ورغم أن المبلغ كان مجزياً إلا أنه لو كان صرف المبلغ المقرر لكان أفادني كثيراً في البحوث وتصوير المراجع، ولكن الله ـ سبحانه ـ أراد غير ما أردت أنا والشيخ عبدالرحمن الحليسي الذي اقترح مبلغ خمسين جنيهاً، وأمر الله لابد أنه كان أصلح في المدى الطويل.

وبعد:

انتهى هذا العام (١٩٥٤م) كما رأينا، سكنت فيه عدة أماكن، وجربت مجتمعات متنوعة، وتوغلتُ في المجتمع العام، واستقبلت أُناساً من المملكة وغيرها، وساعدتهم في أمر العلاج لمن جاء للعلاج، وأخذ هذا مني وقتاً ليس قليلاً، وكان عموماً على حساب

دراستي، ولم أكره هذا بل كان لي فيه لذة عارمة، أتت من إدراكي أني أخدم أُناساً في حاجة لخدمة ليس هناك من يقوم بها، وكنت أقبل على مساعدتهم بنشاط لا يماثله نشاطي في الدراسة. وقد أصبحت لندن قبلة السعوديين، الآتين للدراسة أو للعلاج، أو أولئك الذين كانوا في طريقهم إلى أمريكا، أو كانوا في فرنسا، وأغراهم قربهم من انجلترا أن يأتوا إليها لأيام قلائل. ولم يعد يفاجئنا مجيء بعض من انتهزوا وقت الصيف ليقضوه في لندن، وأصبحت لكثير منهم زيارة «برايتون» جزء من الرحلة.

وقد أخذت مني قيادة السيارة وتعلمها وقتاً طويلاً والسبب تباعد مواعيد أوقات التمرين وقصرها، وكذلك أخذ مني تعلم الإيطالية والفرنسية بعض

الوقت ولكني أعده من النشاط الدراسي. وصلتي بأهلي مستمرة عن طريق الخطابات، وبعضها لا أزال محتفظاً به، ولم أعد إليهم منذ أن تركت مصر حتى الآن.

في هذا العام كانت النواحي المالية قد أخذت مجرى آخر مختلفاً عما كانت عليه من قبل عندما كنت أدرس على حساب الوالد، وأحاسب كثيراً على الصرف ولا أصرف إلا على ما هو ضروري جداً، ويؤنبني ضميري إذا تعديت الأمور الملحة لأني أشعر أنه كان يجب أن أكون بجانب والدي في هذه المرحلة من سنّه المتقدم، والأعباء المالية التي عليه لأسرة كبيرة مثل أسرتنا، ولولا رغبته لما بقي عندي اطمئنان على الحالة التي أنا عليها. وكان هو دائماً أمام عيني: أحبه وأقدره وأفخر به، وأحترمه، وأهابه، وأشعر بالمنّة المتناهية أمام موقفه

من تعليمي. وهيبتي منه، ورغبتي في أن لا يأتي مني إلا ما هو محمود، كان لها أثر ـ بإذن الله ـ في بعدي عن مواقع الزلل، وما أكثرها، مثل الوقوع في عادة التدخين، أو الشرب، أو الجري وراء النساء، مما كان سوف يخيب أمله، ويجعل تقديره لي يكون خاطئاً. هذه الصورة لم تكن تفارقني أبداً.

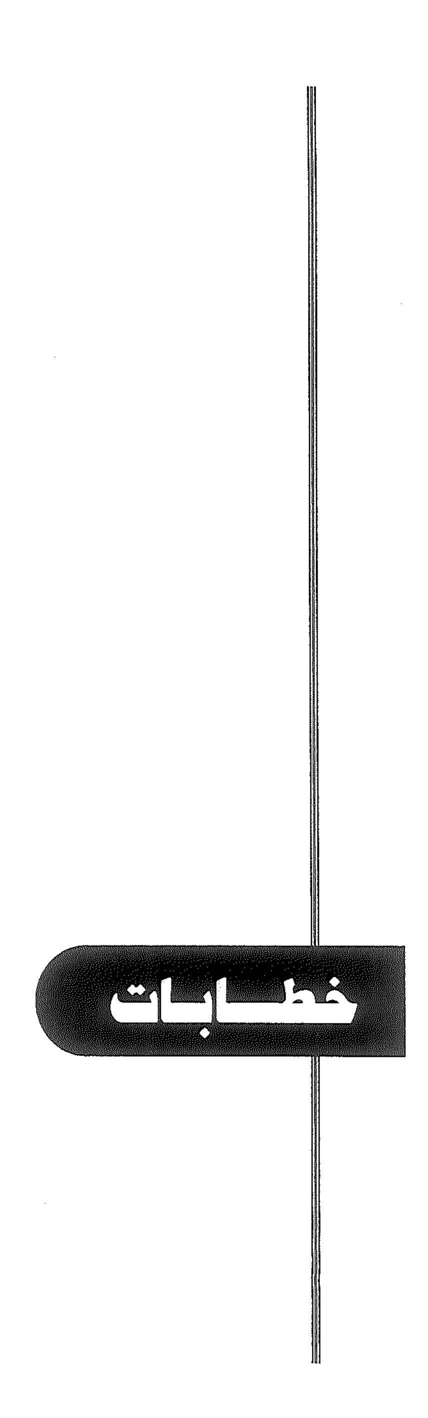
وقد اختلف أمر الصرف بعد أن أصبحت على حساب الدولة ـ أعزها الله ـ ولديّ مبلغ مجزٍ أستطيع أن أتوغل في الأمور التي كنت لا أقترب منها إلا بحذر مالي دقيق، فصرت أبتاع آلات التصوير من أحدث طراز، وأكثر من أخذ الصور، وأذهب إلى الأفلام في دور السينما التي تعرض الأفلام لأول مرة، وأختار المطاعم الراقية، كل هذا دون تأنيب ضمير.

الجمعة ٣١ ديسمبر :

في هذا اليوم سجلت أنني نجحت في السواقة بحق، ووضعت في المفكرة رقم شهادة نجاحي فيها وهو:

N 862481
Lic. N B1469177
Ref. No. N501173
Butcher 4548

ويبدو أنني مستمر في حضور الدروس في المجلس البريطاني، لأني سجلت ذلك في المفكرة في هذا الأسبوع.


خطابات

الخطاب الأول :

هذه صورة خطاب وصلني بخط الأخت منيرة وهو، كما علق عليه الوالد رحمه الله منها ومنه، وبه إعلام بوصول خطاب أرسلته تهنئة بشهر الصيام المبارك، وما جاء في هذا الخطاب رد وتهنئة كذلك بالعيد المقبل، وهذا نصه:

بسم الله

الأخ الكريم عبدالعزيز المحترم

تحية طيبة وسلاماً عطراً، أرجو أنك في صحة جيدة، كما نحن كذلك.

بعد التحية:

في إحدى اللحظات السعيدة التي قلما يجود بها الزمن وصلنا خطابك العزيز، وتلوناه مسرورين لدوام صحتك. وبه التهنئة بشهر الصوم، جعله الله شهر خير

وبركة على الجميع. كما نرجو أن لا يكون في الصيام عليك مشقة أو عناء، ونأمل أن يكون مناسب [كذا] لك، والراحة متوفرة.

أخي، بمناسبة قدوم عيدالفطر السعيد أتقدم إليك بأجمل التهاني، وأطيب التمنيات، راجين لك عيداً سعيداً، وعمراً مديداً، ونجاحاً مضطرداً، والباري يرعاك.

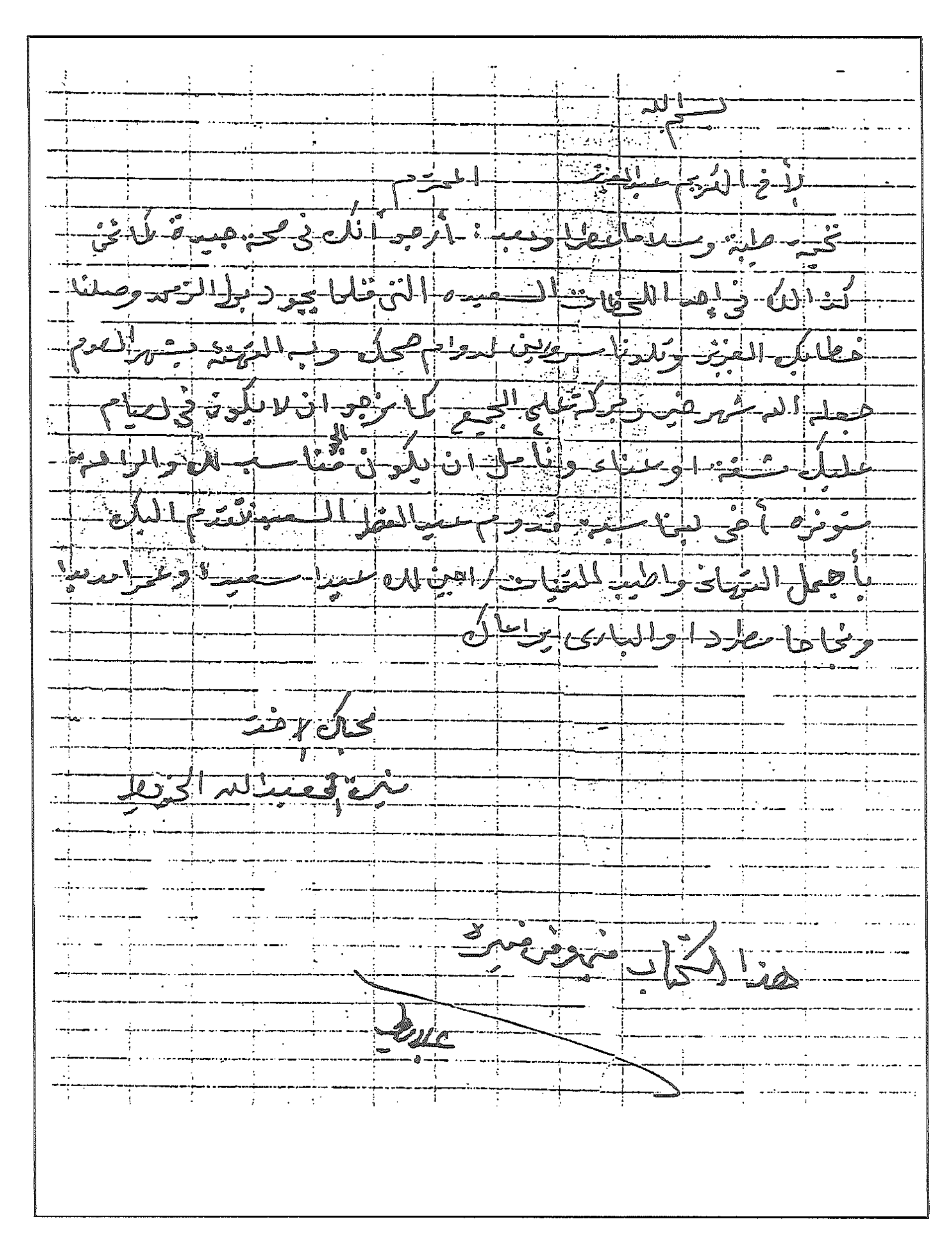
محبتك الأخت

منيرة العبدالله الخويطر

وعلق الوالد بعد ذلك بقوله: هذا الكتاب مني ومن منيرة.

عبدالله الخويطر

وللأسف هذا الخطاب لم يؤرخ، وما فيه لا يدل إلا أنه أرسل في شهر رمضان.



بسم الله

الأخ الكريم عبد العزيز المحترم

تحية طيبة وسلاماً عطراً وبعد: أرجو أنك في صحة جيدة كما نحن
كذلك الله في هذه النفحات السعيدة التي قلما يجود بها الزمن وصلنا
خطابك العزيز وقد وجدنا سرورين لدوام صحتك وللتهنئة بشهر الصوم
جعله الله شهر خير وبركة على الجميع كما نرجو ان لا يكون في الصيام
عليك مشقة او عناء ونأمل ان يكون [illegible] والزائرة
[illegible] أخي [illegible] بمناسبة قدوم عيد الفطر السعيد نتقدم اليك
بأجمل التهاني واطيب التمنيات راجين الله ان يعيده سعيداً وعمراً مديداً
ونجاحاً مطرداً والباري يرعاك

محبك الأخ
[illegible] عبدالله [illegible]

هذا الكتاب [illegible]

[illegible]

صورة للخطاب الأول

الخطاب الثاني:

طلب «المصروف» من الوالد يتكرر كلما انتهت الدفعة المالية التي أرسلها، وعادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يجعل الدفعة ثلاث مئة جنيه، وهذا مبلغ مجزٍ لعدة أشهر، وحسب توصيته وتأكيده، عندما يشارف المبلغ على الانتهاء أكتب له وأذكره، وهذه صورة مسودة إحدى الصيغ.

«اعتدت أن أخبر سيدي قبل انتهاء النقدية بوقت مناسب، وهاأنذا في هذه المرة أعود فأذكرُ ذلك لسيدي، غير ناس أن أذكر أيضاً أن سعادة السفير ليس حاضراً في لندن في هذه الأيام، وربما غاب مدة غير قصيرة، وإذا رأى سيدي إرسالها على يد الأخ عبدالرحمن الحليسي، نائب السفير هنا في غيبته، وإلا فالرأي لسيدي، حفظه الله.

اعتقد أنه أخبر سيدي قبل الآن بضرورة
بوقت مناسب وها أنذا أذكر هذه المرة
الأمر فأذكر ذلك لسيدي غير ناسي
أن أذكر أيضا أن سعادة السفير ليس
حاضرا في لندن في هذه الأيام ~~[illegible]~~
وربما جاء عند ... قصيره وإذا رأى سيدي
إرسال الأستاذ ... الحلبي نائب السفير
فهذا في ... ~~[illegible]~~ والأمر لرأي
لسيدي فقط ودمتم سالما

two piece suit
to measure
6/15/10

بسم الله الرحمن الرحيم
ملك الحرم سيدنا ...

الخطاب الثالث:

هذه صورة مسودة خطاب كتبته للوالد بعد أن تبين لي من كتاب ورد منه أنه كان قلقاً عليَّ لما سمعه من تصادم عنيف لقطارات في انجلترا، وفي هذه المسودة اعتذار عن عدم تنبهي لهذا الإهمال، الذي سبب قلقهم. وهذا جعلني أطمئنهم عن الفيضانات المروعة التي حدثت في بريطانيا. وهذا هو نص المسودة:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم سيدي الوالد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. دمتم بخير وسرور.

سررت بوصول كتاب سيدي، وآلمني ما سببته لكم من انشغال البال حين لم أكتب عما وقع [من] حادث تصادم القطارات في انجلترا، ولكن يظهر أن اطمئناني جعلني أظنكم غير منشغلين، ولن يتكرر هذا إن شاء الله. كتب الله السلامة للجميع.

ولعل من المناسب أن يكون كتابي هذا بعد نكبة الفيضان الذي روع سكان انجلترا بتدميره لمعظم المدن التي على الشاطئ الشرقي، والذي يعدونه من أَمَرّ النكبات التي مرت بهم، وقد اقتصر ضرره على هذا الساحل فقط، وعلى بعض السفن في السواحل الأخرى.

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المحترم الأخ سيدي الوالد [illegible]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصلني

كتابكم [illegible] سررت بوصول

كتاب سيدي الأقدس والله ما سبب تأخيري في الإرسال

هو إلا أنك عندما وقع حادث اصطدام [illegible]

القوى [illegible] في انجلترا [illegible]

ولكن [illegible] [illegible]

غير مشغول ولله الشكر وهذا أيضًا ولعله

كان السلام للجميع. ولعل من المناسب أنه

يكون كتابي هذا بعد حدوث [illegible]

[illegible]

[illegible] الذي [illegible]

التي [illegible] من الشرق من انجلترا فهي لقطاعة [illegible]

[illegible] وغرابة انجلترا

ولعل من المناسب أن يكون كتابي هذا بعد نكبة العاصفة

الذي زعم سكان انجلترا بتدميره لمعظم المدن

التي على الساحل الشرقي، والذي يعدونه من أكبر

النكبات التي مرت بهم وقد اقتصر ضرره على الساحل هذا

فقط وعلى بعض السفن في السواحل الأخرى.

الخطاب الرابع:

هذه مسودة صورة خطاب أرسلته للوالد في السنة الثانية من مجيئي إلى لندن، وقد انتقلت من السكنى مع بيت «ألن» إلى بيت «ديمبستر» في داخل لندن، وشرحت أسباب هذا الانتقال. وقد حرصت أن أضع في أعلى الصفحة عنواني الجديد باللغة الإنجليزية:

Abdul-aziz al-khowaiter
29, South Wold Mans
Maida Vale W. 9
London, England

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم العزيز سيدي الوالد عبدالله العلي الخويطر.. حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، دمتم بخير وسرور، ونحن بخير وعافية.

أهنئ سيدي بقدوم شهر الصيام المبارك، جعل الله قدومه مقروناً بالخير العميم، والنعمة السابغة، ومتلوّاً بالقبول والغفران.

أخبرت سيدي في كتاب سبق أني انتقلت إلى داخل لندن، وقد التحقت في مدرسة للغات الإنجليزية والفرنسية، انتظاراً البدئي في دراسة الجامعة، وقد انتقلت عن السكن السابق، لأنه أضحى لا يناسبني، فقد سكنته حينما كنت لا أعرف الإنجليزية، وهذا البيت الجديد ليس لي فيه إلا السكن والإعاشة والرعاية في الأمور التي تقتضيها الراحة، أما الدراسة فكما ذكرت في مدرسة خاصة، على أن هذا البيت يلائمني كثيراً،

وسكانه رجل وامرأة، وقد أخبروني أن سبب بحثهم عمن يسكن معهم أنه ليس لهما أولاد، ويحتاجون إلى من يسد هذه الثغرة، وما رأيته من معاملتهم يثبت ذلك.

تحياتي إلى الأهل جميعاً، ودمتم في رعاية الله.

[illegible] Al Khowaiter
29 Southwold Mansions
Maida Vale
W9 England

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم العزيز سيدي الوالد عبد الله العلي الخويطر حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإني بخير وسرور ونعمة من الله كبيرة وعافية.

أهنئ سيدي بقدوم شهر الصيام المبارك جعل الله قدومه مقروناً بالخير العميم والنصر [illegible] ومقبولاً بالقبول والمغفرة.

أخبرت سيدي في كتاب سابق أني انتقلت إلى داخل لندن وقد التحقت في مدرسة للغات الإنكليزية والفرنسية انتظاراً لبدئي في دراسة الجامعة ~~[illegible]~~ وقد انتقلت في المسكن إلى [illegible] لأنه أضيق لا يناسبني فقد سكنته حين كنت لا أعرف الإنكليزية ~~[illegible]~~ وهذا البيت الجديد ليس فيه إلا السكن والإعاشة والرعاية في الأمور التي تقتضي الراحة. أما الدراسة فلما ذكرت [illegible] في مدرسة خاصة على أن هذا البيت يلائمني كثيراً وسكانه رجل وزوجته [illegible] [illegible] أنه سبب ~~[illegible]~~ بحثهم عن سكان معهم إذ ليس لهم أولاد ~~[illegible]~~ ويتأجرون الآن [illegible] هذه الغرفة [illegible] ومالهم [illegible] في ذلك.

تحياتي إلى الأهل جميعاً ودمتم في رعاية الله [signature].

الخطاب الخامس:

هذه مسودة البرقية التي بعثتها لصاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبدالعزيز ولي عهد الملك عبدالعزيز، أطلب فيه ضمي للبعثة، ويلاحظ عليها إضافة بخط الشيخ عبدالرحمن الصالح الحليسي، السكرتير الأول بالسفارة بلندن:

بسم الله الرحمن الرحيم

مولاي حضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد المعظم.. أطال الله عمره.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كنت، يا مولاي، ضمن بعثة إدارة المعارف إلى مصر، وبعد أن أكملت دراستي في الجامعة المصرية سافرت إلى انجلترا لإتمام دراستي العالية بها على نفقة

والدي، وقد تم التحاقي بجامعة لندن في هذه السنة بقسم الدكتوراه بعد قضاء أكثر من عام استعداداً لذلك.

مولاي، ما عُرف عن سموكم من حث على العلم، وتشجيع لطلابه يجعلني أجرؤ فألتمس من سمو سيدي أن يأمر بإلحاقي ببعثة الحكومة.

أسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلني مشمولاً بعطف سموكم، ودمتم ـ سيدي ـ ذخراً للعباد.

الخادم

عبدالعزيز العبدالله الخويطر

حفظ الله سموكم وأبقاكم ذخراً للعلم وطلابه.

بسم الله الرحمن الرحيم

مولاي حضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد المعظم أطال الله عمره

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كنت يا مولاي ~~مبعوثا~~ ضمن بعثة وزارة المعارف إلى مصر وبعد أن أكملت دراستي في إحدى المعاهد المصرية سافرت إلى انجلترا لإتمام دراستي العالية على نفقة والدي وقد تم التحاقي بجامعة لندن وأنا الآن بقسم الدكتوراه بعد قضاء أكثر من عام استعدادا لذلك.

مولاي ما عرف عن سموكم من حب للعلم وتشجيع للطلاب يجعلني أجرؤ فألتمس من سمو سيدي أن يأمر بإلحاقي ببعثة الحكومة.

نسأل الله تعالى أن يجعلني ممن يرد لطف سموكم وخير ... وشكر سيدي في خدمة البلاد.

الخادم

[illegible]

حفظ الله سموكم وأبقاكم ذخرا للعلم وطلابه.

الخطاب السادس:

هذه مسودة خطاب مني للشيخ محمد سرور وكيل وزارة المالية برجاء رفع مكافأتي الشهرية ومخصصاتي المالية، والسبب أني علمت أن ما أمر به جلالة الملك رحمه الله أنقصته وزارة المالية.

بسم الله

حضرة صاحب السعادة وكيل وزارة المالية الأفخم.

تحية وإجلالاً

كنت قد رفعت، بعد التحاقي بجامعة لندن للدراسات العالية، إلى صاحب الجلالة أطلب جعلي على نفقة حكومة جلالته، فتكرم ـ حفظه الله ـ وأصدر

أمره السامي بذلك، وقد خصصت لي وزارة المالية (٤٠) جنيهاً إسترلينياً في الشهر و (٤٠) سنوياً للكتب والملابس، و (٣٠) للمصروفات الدراسية.

وحيث المعيشة، ومقتضيات الدراسة، تقتضي أكثر من ذلك رأيت أن أرفع لسعادتكم هذا، راجياً أن تتكرموا بالأمر بجعل المخصص الشهري (٥٠) جنيهاً، والكتب (٤٠) والملابس (١٠٠) والمصروفات الدراسية (٥٠).

وتفضلوا بقبول فائق احترامي.

الطالب

عبدالعزيز الخويطر

باسمه

حضرة صاحب السعادة وزير المالية الأفخم

تحية واحتراما لساحتكم [illegible] بما يليق بالساحة العالية

انني قد رفعت الى صاحب الجلالة الملك [illegible] مطالبا بتخصيص [illegible] فأمر جلالته بعد [illegible]

واصدر أمره السامي بذلك وقد خصصت لي وزارة المالية ٤٠ جنيها

استرلينيا في الشهر و٤٠ سنويا للكتب و٦٠ للملابس و٤٠ للمصروفات

الشخصية وحيث ان المعيشة ومقتضيات الدراسة تقتضي الزيادة

رأيت أن أرفع الى سعادتكم هذا راجيا أن تتكرموا بالأمر بجعل المخصصات

الشهرية ٥٠ جنيها والكتب ٤٠ والملابس ١٠٠ والمصروفات الدراسية خمسين

وتفضلوا بقبول فائق احترامي

الطالب

علي [illegible]

الخطاب السابع:

هذه مسودة خطاب حررته للوالد جواباً لخطاب منه يذكر أنه قابل سمو الأمير محمد بن عبدالعزيز، وأخبره عني، وأثنى رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليَّ، فكتبت للوالد مفصلًا عن اتصالي بسموه، وكيف تم، وما هي المناسبة:

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الوالد عبدالله العلي الخويطر.. حفظه الله

تحياتي وأشواقي، وبعد:

تناولت كتاب والدي مسروراً، وقد كنت بانتظاره، خصوصاً لأعرف رأي سيدي في المسألة التي ذكرت في كتابي السابق، وقد أبهجني أن أعرف أن رأيي لم يخالف رأي سيدي البتة، وزاد بهجتي أن كتاب سيدي

جاء شافياً وافياً، فتطرق إلى المسألة المادية التي لم أكن أعرف مكان سيدي منها إلا بعد مجيء هذا الكتاب، الذي طمأنني على هذه الناحية.

سيدي، أذكر دائماً حثك إياي على عدم الاهتمام بمسألة المادة، ولكنَّ هناك شيئاً في نفسي يجعلني استصعب هذا، لعل مأتاه أنني لم أتعود على الصرف، هذا الذي جعلني أذكر هذا في كتابي السابق.

أما ما يختص باتصالي بسمو الأمير محمد بن عبدالعزيز فهو أنه في صيف العام الماضي جاء إلى لندن فقط لمدة عطلة الأسبوع، وكان معه الأخ صالح الشلفان، السكرتير الأول في سفارة باريس، وصالح صديقي منذ أن كنا في بعثة مصر، وأخبرني الأخ عبدالرحمن الحليسي بمجيء صالح مقدماً، وذهبت

لاستقبالهم في المطار، وما كان فيه غير رجال السفارة وأخو شيخ البحرين، وأظن أن الأمير لم يعرفني في المرة الأولى، وحيث إن مجيئهم كان فقط لعطلة الأسبوع لم أحاول أن أتصل بهم، ولكني خشيت من شرهة صالح، فكلمته بالتليفون، وصادف أنه قاعد عند الأمير، فسمع الأمير المحادثة، ولما أخبره صالح أني أنا الذي أتكلم أخذ السماعة وتشره لماذا لم أجئ، فاختلقت عذراً، ولكنه أصر على أن أجيء. ولم يحصلوا على طائرة، فتأخروا يوماً، وذهبت لزيارتهم وكان مجيئي مناسباً، لأن الأخ عبدالرحمن الحليسي وصالح يريدون [كذا] قضاء بعض حاجات للأمير، ولم يستطيعوا أن يتركوه وحده، وخرجوا [كذا] هم فجلست مع سموه أكثر من خمس ساعات تحدثت معه خلالها عن أمور كثيرة عن المملكة وغيرها، وقد

بدا أثناء الحديث أنه كان مسروراً من آرائي التي أبديتها، وهو نفسه حدثني عن مسائل لا أعتقد أنه يتحدث بها لكل شخص، وطبعاً عندما أراد أن يسافر ذهبت وودعته في المطار.

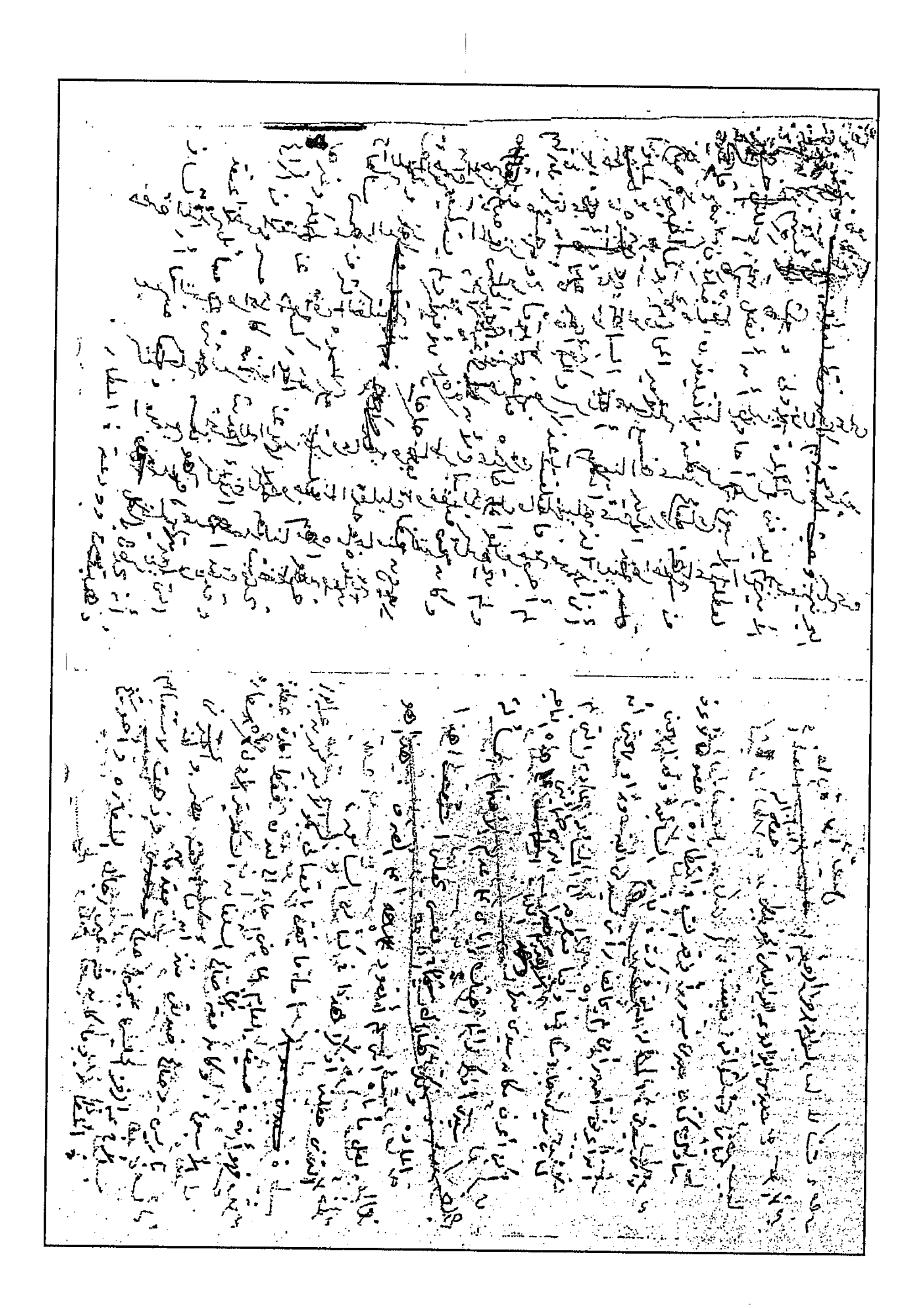
عادة لا أتصل بالأمراء خصوصاً لما كنت في مصر، كثير من الطلاب يذهبون يومياً ويجلسون مع سمو الأمير عبدالله الفيصل، ولكني أنا شخصياً ما كنت أجد سبباً لهذا، أولاً: لكثرة الذين يذهبون، وثانياً: تسعة أعشارهم في النهاية يطلبون مساعدات وما إليها. فهذه المسألة جعلتني أشمر، ولكن الحال مع سمو الأمير محمد في انجلترا تختلف.

والحقيقة أنني سررت، ولا أزال أُسر، لذكرى تلك الجلسة مع سموه، وهو بسماحته، ودماثة خُلقه سيطر

على شعوري، والإخوان [كذا] صالح وعبدالرحمن الذين قدموني [كذا] له قدموني بألسنة الإخوان مما جعله من أول وهلة، يأخذ عني فكرة طيبة. كان يلتفت أحياناً، والمجلس ملآن [وفيه] الشيخ حافظ وهبه وشيوخ البحرين ويقول:

وش تقول يا عبدالعزيز بكذا وكذا.

هذه مسألة بسيطة ولكنها تعرف طريقها إلى القلب. وقد لاحظت أثر هذا على الذين كانوا هناك، إذ أني عندما عدت من توديع الأمير كنت في سيارة فيها أخو شيخ البحرين، فألحّ عليّ أن أزورهم في الأوتيل الذي هم فيه، ولكني لم أفعل لأن الوقت كان ضيقاً، وهم سافروا في نفس [كذا] الأسبوع.



الخطاب الثامن:

هذه صورة خطاب من الوالد لي رداً على خطاب أرسلته له أخبرته برحلتي إلى فرنسا لمدة ثلاثة أيام، علمت قبلها من الأخ عبدالرحمن الحليسي أن سمو الأمير سعود الكبير جاء إلى فرنسا للعلاج، والأخ عبدالرحمن سوف يسافر ويزوره، فذهبت معه ومع الأخ صالح الشلفان لزيارته في مقره خارج باريس، وسر رحمه الله من مجيئنا، وأثنى على الوالد كثيراً. وقد كتبت عن ذلك للوالد، وهذا رده الآن، والرد يحدد التاريخ التقريبي للزيارة.

وقد سر الوالد من هذه الخطوة، ولكن حيره أني سافرت إلى باريس والدراسة قائمة، ولا يدري رحمه الله أني في هذه المرحلة قد بدأت البحث الذي لا يكاد

يوجب عليَّ حضور محاضرات منتظمة، وأني كثير السفر من أجل البحث، إلى باريس لمدة قصيرة أراجع فيها مكتبتها العامة، وما فيها من مخطوطات تتصل ببحثي ولا توجد إلا فيها.

وأراد أن لا تؤثر عليَّ هذه الملاحظة سلباً فأردفها بما يؤكد ثقته بي وبما أعمل، وأكد أنه يوافق على كل ما أعمل ثقة منه، وأردف هذا بالدعاء ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ فكان نعم الأب ونعم المربي.

بسم الله

حضرة المكرم الولد عبدالعزيز العبدالله الخويطر

حفظه الله

بعد التحية

وصلنا كتابكم العزيز، وأسرتنا صحتكم، ومضمناً

التهنئة بالعيد السعيد، فربنا يعيده على الجميع كل عام بالعافية والخير.. آمين

فهمت رواحك إلى باريس للأسباب الذي ذكرتها، لازلت موفقاً إن شاء الله. وفهمت مادار بينك وبين الأمير سعود.

وقد ذكرت أن الدراسة مستمرة، وغبت ثلاثة أيام إلى باريس، فلم أفهم كيف الجامعة وافقت على غيابك مع وجود استمرار الدراسة. على كل حال هذا شيء لابد إن له وجهة نظر، وأنت أعرف فيه. وتراني على الدوام أوافق على كل [ما] يوافق رغبتك ـ ربنا يديم توفيقك.

ومن لدينا يسلمون.. ودمتم.

والدك

٦/ ١٠ / ١٣٧٣هـ عبدالله الخويطر

بسم الله

حضرة المكرم الولد عبد العزيز العبد الله المحفوظ حفظه الله

بعد التحية وصلنا كتابكم العزيز وأسرتنا صحتكم ونجاحكما التوجيهية

أنا العيد السعيد فربنا يعيده على الجميع كل عام بالعافية والخيرات

فهمت رواحك الى باريس للاسباب التي ذكرتها لا بد لك

موفق ان شاء الله وفهمت ما دار بينك وبين الامير سعود

وقد ذكرت ان الدراسة مستمرة وغبت ثلاثة ايام الى باريس

فلم افهم كيف الجامعة وافقت على غيابك مع وجود استمرار الدراسة

على كل حال هذا شي لا بد ان له وجهة نظر وانت اعرف فيه

وتراني على الدوام اوافق على كل يوافق رغبتك ربنا يديم توفيقك

وفي الدنيا يا طيب ودمتم والدك

عبد الله

١٢٧٢

١٠/٦ ١٦/٦/١٩٥٤

الخطاب التاسع :

هذه صورة خطاب من الوالد لي رداً على خطاب أرسلته له، وذكرت له مقابلتي صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز وزير المعارف حينئذ، والسلام عليه، وما لقيت منه من عطف وأمره لي بالاتصال به في أي أمر يتصل بدراستي. وأكد على أن أعمل عنده في الوزارة عندما أتخرج:

بسم الله

حضرة المكرم الابن عبدالعزيز العبدالله الخويطر

حفظه الله

بعد التحية

أخذنا كتابكم المؤرخ في ٢٩/ ١٢/ ١٩٥٤م (٤/ ٥/ ١٣٧٤هـ)، وأسرتنا صحتكم، وبه التهنئة بدخولنا

البيت الجديد، ربنا يجعل فيه الخير والبركة والعافية للجميع. وقد سرني مقابلتكم في سمو الأمير فهد بن عبدالعزيز، كثير طيب المعرفة في أمثاله، لأن المعرفة طيبة، لازلتم موفقين، آمين، ومن لدينا أهلك بخير وعافية.. ودمتم.

١٣/ ٥/ ١٣٧٤هـ/ ٧/ ١/ ١٩٥٥م

والدك

عبدالله الخويطر

***

سبق أن تحدثت في الجزأين الرابع والخامس من «وسم على أديم الزمن» عن البيوت التي سكناها في مكة منذ أن جئت من عنيزة إلى أن ابتعثت إلى مصر. وكنا تقريباً في كل سنة في بيت، إما إيجار أو على حساب الدولة

من البيوت التي لا تُشغل إلا في أيام الحج. وقد انتقلنا من حي إلى حي، من شعب عامر، إلى شعب عامر، إلى أجياد، إلى المسيال المؤدي للمسفلة، إلى الغزة، إلى سوق الليل.. وهكذا. ننتقل مثل أولاد القطة (حسب تعبير عمتي موضي) التي انتقدت الوالد في هذا، ورأت أن عليه أن يستقر في بيت ملك له، فغضب منها، ورد عليها ـ رحمهما الله ـ بقوله: «المرأة والطفل الصغير يحسبون أباهم على كل شيء قدير» وهو يشير إلى أن ما بيده من مال يستفيد منه في التجارة والبيع والشراء، فإذا وضعه في بيت فمن أين يصرف على بيته، وهو شيء لم تدركه ـ رحمها الله ـ لأنه ليس لها إلا الظاهر).

في هذا الخطاب يشير الوالد رحمه الله إلى البيت الجديد الذي بناه على الطريقة الحديثة في حي «العتيبية» خارج

مكة حينئذ، وفيه نقلة كبرى له ولأهل البيت، أولاً لأنه واسع، ولأنه صمم ليتناسب مع حياتنا، ولأن فيه كل الإمكانات الحديثة المتوافرة حينئذ.

بسم الله

حضرة المكرم الابن عبد العزيز العبدالله ... حفظه الله

بعد التحية اخذنا كتابكم العزيز المؤرخ ٢٩/١٢/١٩٥٤ واسرتنا صحتكم وبدأ الشهر بدخولنا البيت الجديد ربنا

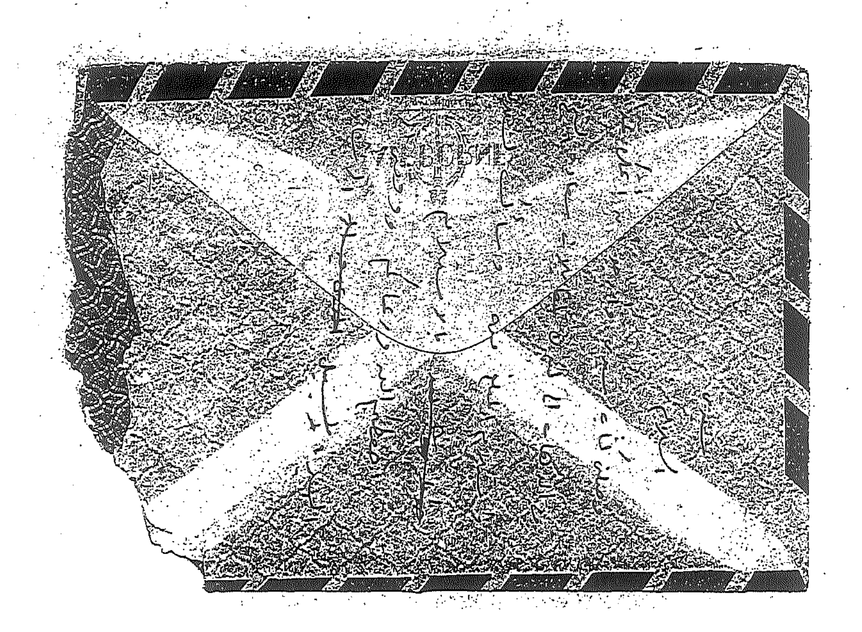
يجعل فيه الخير والبركة والعافية للجميع وقد سرنا قابلتكم مع [illegible] عبد العزيز كثير طيب المعروف في

امثاله لأن المعروف طيبه لا زلتم موفقين ابدا وقد لدينا هنا كلنا بخير وعافية ونرجو [illegible] والسلام

عبدالله

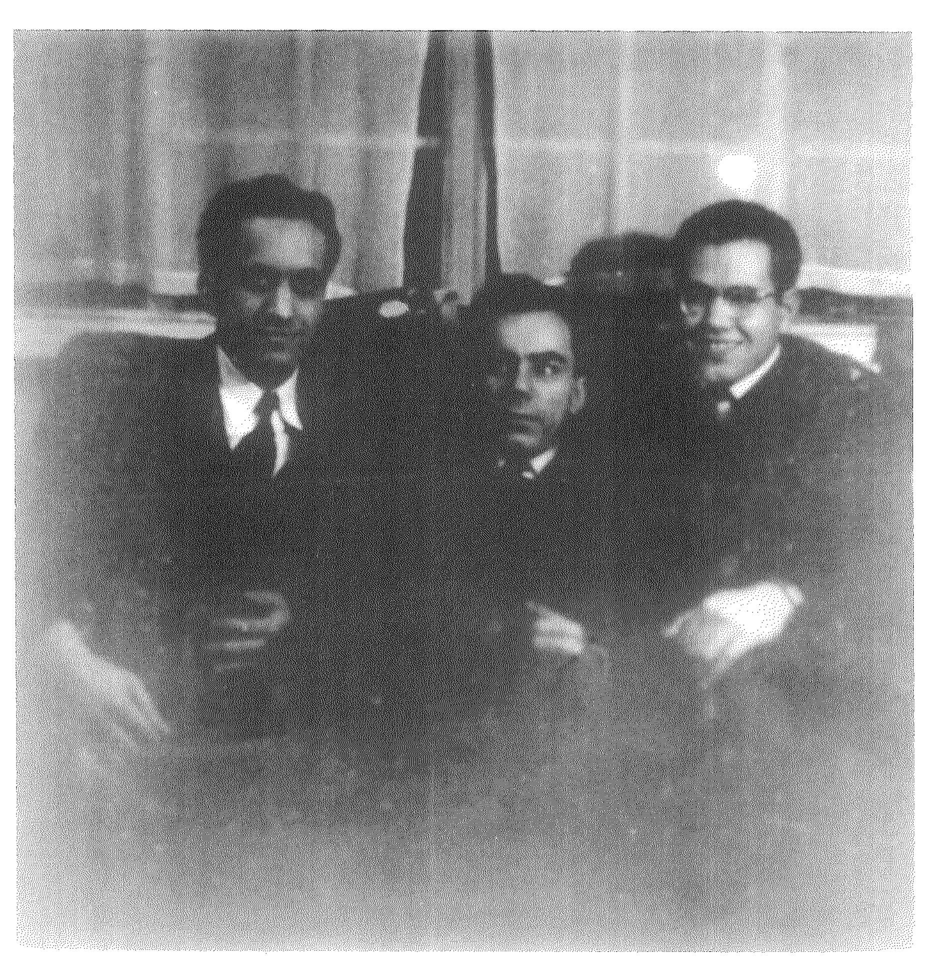
١٩٥٥ ١٢٧٤

١/٧ ٥/١٣





الصُّوَر



صورة لأخي حمد على اليمين وفي الوسط الأستاذ محمود
السمرة وعلى يمينه الأخ عبدالكريم الحمد الذكير



هذه صورة لي مع الأخ الصديق عبدالرحمن أبا نمي في ٤/ ٩/ ١٩٥٤م



صورة للإخوة الأعزاء: حمد الصقير على اليمين، محمد أبا الخيل، عبدالله القرعاوي.
أخذت في فبراير عام ١٩٥٤م في الإسكندرية، أرسلت لي في لندن للذكرى..



صورة للأخوين العزيزين معي في لندن وعلى يميني صالح الحمد الذكير وأخوه عبدالكريم في إبريل ١٩٥٤م



صورة للأخ عبدالله الحمد القرعاوي وأخي محمد على يمينه، أخذت في الاسكندرية، يناير ١٩٥٤م، وأرسلاها لي هدية للذكرى

عام ١٩٥٥م

عام ١٩٥٥ :

ودخل هذا العام، وهو عام مهم، لأن دراستي فيه تدخل مرحلة جديدة، لها سماتها، ولأن إقامتي في لندن تدخل مرحلة متقدمة من الثقة بنفسي، وزيادة معرفتي بما حولي، وقبولي له، وقبوله لي. وقد اتسمت هذه السنة بزيادة عدد الزوار، وهذا له تأثير على علاقتي الاجتماعية وعلى دراستي، وقد بدأ تدفق السعوديين على أوروبا وأمريكا لقضاء الإجازات أو الدراسة أو العلاج، لأن سِني الحرب ابتعدت إلى الخلف، ولأن جيلاً جديداً من أبناء المملكة بدأ يأخذ مكانه في المقدمة من المجتمع، وزالت الهيبة من الخارج، وحل محلها الحرص على المجيء لهذه البلدان.

وقد جد جديد كذلك في أشخاص السفارة وموظفيها

وتغيرت الوجوه القديمة وحل محلها وجوه جديدة، بعضهم كانوا زملاء لنا في القلعة أو في البعثة، وقد نقل الشيخ عبدالرحمن الحليسي وحل محله سكرتيراً أول السيد عمر السقاف، وحل الأستاذ عرب هاشم محل الأستاذ مصطفى حافظ وهبه. هذا كله بعد أن انتقلت السفارة من بلجريف سكوير إلى حي «كنزنجتون» في شارع المليونيرات كما كان يُسمى لرقيه وأهمية من فيه، ففيه عدد من السفارات، وهو شارع شبه مقفل بالنسبة لغيرهم، لأن على طرفيه بوابتين تقومان بمراقبة مخففة على السالكين من حي إلى حي، من حي «نُتنج هل» إلى حي «كنزنجتون».

ومبنى السفارة يأتي في أول الشارع للداخل إليه من «نُتنج هل»، وهو مبنى جميل، وقد أصبح سكناً للسفير،

فكان فيه الشيخ حافظ وأسرته، أما مكاتب السفارة وموظفوها فكانوا في الملحق في جانب من الحديقة. وكان هذا الملحق قديماً سكن سواس الخيل عندما كان التنقل بالعربات التي تجرها الخيول، قبل اختراع السيارات، وكان تحت الغرف العلوية اسطبلات الخيل، التي أصبحت مع الغرف العلوية مكاتب لائقة بعد أن لمستها يد الهندسة الحديثة. وقد انتهى أمرها أن أصبحت مخازن أو استفيد منها لأغراض أخرى.

صالح بابصيل:

من الذين انضموا إلينا في انجلترا الأخ الأستاذ صالح بابصيل، وسرعان ما سافر إلى كيمبرج ليدرس فيها، والأخ صالح خريج كلية الشريعة في الأزهر، وكان أحد زملائنا في الشقة المحذوفة التي كان

يسكنها عدد من الطلاب الذين التحقوا بالبعثة بعد أن امتلأت غرف المبنى القريب، والواقع على شارع الروضة الرئيس. لقد سافر الأخ صالح، فور تخرجه من القاهرة، إلى المملكة العربية السعودية، والتحق بشركة أرامكو، وقد جاء الآن إلى انجلترا على حسابه الخاص، ليدرس اللغة الإنجليزية، واللغة الإنجليزية مهمة لمن يعمل في أرامكو، وخريج كلية الشريعة يحتاج إلى دراسة مكثفة في اللغة الإنجليزية، وكنت أزوره كثيراً في كيمبرج، وأقضي معه وقتاً ممتعاً، فهو صديق حميم، ووجوده كان مكسباً، خاصة بعد أن أصبح خبيراً في مدينة كيمبرج، فقد أصبح نعم «المطوف» لي و «المزور». لقد تعرف جيداً على أحيائها، وعلى مرافقها المهمة مثل المتاحف، والمتنزهات، والمطاعم

والمقاهي، وهي محلات مشهورة ومحترمة ومعتبرة. وأذكر أنني زرته مرة مع الأخوين الأستاذ ناصر المنقور والأستاذ محسن باروم. وفي إحدى زياراتي له كان معي الأخ الأستاذ حسن المشاري. وقد عاد الأخ صالح من كيمبرج إلى لندن وقضينا حينئذ أوقاتاً ممتعة. ومن القصص التي أذكرها عن تلك الأيام التي قضيناها معاً قصة طريفة لنا مع الأخ الحبيب حسن رضوان. وحسن التحق بالسفارة في لندن كاتباً، ومن جملة ما يجعله مفيداً للسفارة أنه يتقن الكتابة على الآلة الكاتبة العربية، وقليل من يتقن هذا العمل في تلك الأيام، ولهذا فكاتب الآلة ثمين ومطلوب. وقد التحق بالسفارة في عام ١٩٥٣م، وبقي بها إلى أن قطعت العلاقات مع بريطانيا في عام ١٩٥٦م.

وقد لقي ـ مثلي ـ عناءً كبيراً عندما وصل حديثاً، وكانت مشكلته الأولى اللغة، حتى أننا شيعنا عنه عندما سكن مع عائلة أملاً أن يستفيد منهم لتحسين لغته، إلا أنه علمهم اللغة العربية بدلاً من أن يتعلم هو منهم اللغة، ونحن نظلمه بهذه الإشاعة، ولكن طيبة قلبه تغرينا بهذا وأمثاله.

وكنت في ذلك العام (١٩٥٣م) أسكن مع عائلة آل «بل» وكان يتصل بي الأخ حسن بالتليفون، وكانت ترد عليه السيدة «بل»، فيطلبني منها، فترد بأني غير موجود، فلا يفهم ما تقول، فيظل يعيد طلبي، وهي تعيد إخباره بأني غير موجود، إلى أن يقرر أحدهما إنهاء المكالمة.

وقد مررت بهذا الدور، وقد وصفت ذلك في أول

المذكرات التي تتحدث عن وصولي حديثاً إلى لندن، ولهذا فإني لا ألومه، وأقدر موقفه هذا، وهو موقف صعب لا يحسد عليه صاحبه.

وإذا لم تخني الذاكرة فإنه كان متزوجاً إلا أن والد زوجته لم يحبذ سفرها معه إلى بلاد الغربة، وكان الأخ حسن رجلاً مستقيماً يحبه من يعرفه.

والآن آتي إلى القصة الطريفة التي أشرت إليها سابقاً. كنا نجتمع حسن وصالح وأنا كثيراً، وجاء وقت أراد حسن أن يترك لندن مؤقتاً، فطلب مني ومن الأخ صالح أن ننتقل إلى شقته، وهي شقة جذابة، وفي حي راق «نايتزبرج» Knightsbridge. فانتقلنا إليها، وكان ذلك في عطلة الميلاد.

لقد وجد الأخ صالح صدفة في دولاب في الدرج

درزناً من زجاج «السيدر» الخالي من الكحول، وهو الشراب المفضل عند من لا يميلون إلى «الكوكاكولا» أو «البيبسي كولا»، وأخذ يشرب منها بين آن وآخر حتى أفرغها كلها إلا واحدة، وليعمي الأمر على الأخ حسن صنع شاياً خفيفاً جعله بلون «السيدر»، وأضاف إلى كل زجاجة ملأى بالشاي قليلاً من «السيدر»، فغلب ريح «السيدر» ريح الشاي. وقد علمت فيما بعد أن الأخ حسن ظن أن «السيدر» سيء الصنع، وأنه مع الوقت فسد، فأبدل الزجاجات بأخرى جديدة، وقد دعا أصدقاءه في يوم من الأيام، ولما قدم لهم «السيدر» حذرهم من شراء «السيدر» الذي عليه صورة الطائر «ناقر الخشب»، فهو نوع رديء سريع أن يفسد، وأكد أنه ابتاع درزناً لم يتحمل

شهراً واحداً وفسد، وأصبح طعمه مثل طعم الشاي! وكنت حاضراً ولم أنبس ببنت شفه، ولم يدر أحد عن السر إلا أنا وصالح، أما حسن فلم يدر عنه إلى هذا اليوم، حياك الله يا أبا مازن، فما أخيب خبثنا بجانب طيبة قلبك، سامح الله صالح على شربه «السيدر» وأنا على سكوتي، وأنت أهل للمسامحة يا أبا مازن.



مع الأخ صالح بابصيل في كيمبرج حيث يسكن ، أخذت في فبراير ١٩٥٦م.

الخميس ١٢ يناير:

بدأ في هذا اليوم تساقط الجليد، وهو حدث مزعج، خاصة داخل المدن، فهو سرعان ما ينقلب إلى جليد أسود، ويجمد، فيصبح مثل الزجاج أملس يزلق الماشي عليه، وقد ينتهي الأمر بكسر أحد أعضائه، أو تكون السقطة قوية وعلى الرأس، فيدخل في غيبوبة، ولهذا يتفادى الخروج إلى الشارع من يستطيع ذلك، أو يحرص على ارتداء حذاء مخصص لمثل هذه الحالة، ويتكئ كثير من حاملي الشمسية عليها كأنها عصا.

في هذه المدة وصل الدكتور مصطفى طيبة إلى لندن، ثم غادرها إلى «أدنبرة» في سكوتلاندا، وبقي هناك مدة ثم جاء إلى لندن، ولكنه لم يقم طويلاً.

الدكتور حسن سالم:

وجاء إلى لندن الدكتور حسن سالم الجوهري، والتحق بأحد المستشفيات في شماليها، والدكتور حسن من أسرة مكية كريمة أعرف والده جيداً وجدّه كذلك وأخيه. وكان لهم بيت في شعب عامر يأتون إليه بين آن وآخر، وهو بيت يقع أمام بيتنا في أول الشعب، ولهم دكان في المسعى، وكنا في البعثة في مصر في شقة واحدة عندما كنا في المنيل. ولكن الصلة لم تتوطد إلا في لندن، عندما جاء إليها في هذا العام للتدرب في أحد مستشفياتها، وحسن مثلي مولود في عام ١٣٤٤هـ، ولكن الصلة الحقيقية كما قلت لم تتوطد وتعمق إلا عندما اجتمعنا في لندن، وكان معنا حينئذ الدكتور عصام خوقير، والدكتور هاشم الدباغ، والأستاذ

سالم سنبل وكان سكرتيراً في السفارة السعودية بلندن، وكذلك الأستاذ عرب هاشم. وكنا كثيراً ما نجتمع عند الأستاذ عرب هاشم في شقته في كنتُن كورت Kenton Court، وكان يسكن في هذه العمارة الأستاذ سالم سنبل وكانت هذه الشقق ذات غرفتي نوم وصالون، وقد سكنت فيما بعد في هذه العمارة في شقة صغيرة، فيها صالون ودخلة صغيرة فيها السرير ويفصلها عن الصالون ستارة، وسوف تأتي المعلومات عنها فيما بعد عندما أسكن فيها.

والصلة مع الأخ حسن سالم استمرت طوال مدة إقامته في لندن، وزادت توثيقاً مع الأيام، وكان كثيراً ما يزورني ومعه خطيبته وهي ألمانية الجنسية، وهي فتاة فاضلة تصلح له ويصلح لها، فكلاهما على خلق

حسن. وكان لدى الدكتور حسن سيارة يتنقل بها، فلما جاء الوالد إلى لندن للعلاج كان الأخ الدكتور حسن يمر بنا ويأخذنا لننزه الوالد رحمه الله وكان هذا مما يبهج الوالد، خاصة عندما نمر بالأماكن المهمة أو المشهورة، أو نذهب خارج لندن، ويرى الريف الإنجليزي.

وأردت مرة أن يُجرَى لي كشف صحي عمومي فسهل لي الأمر في المستشفى الذي يعمل فيه، وكان الاقتراح في الأصل منه ـ جزاه الله خيراً.

وقد تزوج الدكتور حسن بخطيبته ورزقا ابنتين فُلتين الكبرى اسمها ياسمين والصغرى جهينة.

وقد عاد الدكتور حسن إلى المملكة، والتحق بمستشفى أرامكو في المنطقة الشرقية، وعمل جراحاً

هناك. وقد أعدنا الصلة وجددناها عندما حانت ولادة ابنتي عبير وقررنا أن تكون الولادة في مستشفى أرامكو، وكنا نزوره وزوجته وبنتيه، وهما صغيرتان، وأذكر أننا أخذنا صوراً معهم، وقد مروا بالرياض وسعدنا بهم، وصادف أن البنتين الكريمتين كانتا مغرمتين بالنط على السرير، وأعجب هذا ابنتي عبير، فأخذت تقلدهما حينئذ فيما بعد، وأسرفت في هذه الهواية الجذابة، وكنت أخشى عليها أن تفقد توازنها فتقع على طرف السرير، فيتسبب لها في حادث، واستمر هذا حتى شبت عن الطوق.

وطالت مدة بقاء الدكتور حسن في مستشفى أرامكو، وفهمت منه في وقت من الأوقات أنه ينوي افتتاح مستشفى خاص باسمه، ولعله بدأ ببنائه، ولكن حدث

ما عرقل المشروع بسبب الموقع، وما حوله من مبان قامت أثرت على موقعه.

الدكتور هاشم الدباغ:

الدكتور هاشم عرفته منذ المرحلة الابتدائية، خاصة بعد أن اجتمعت المدارس الابتدائية في مكة في قلعة هندي، ثم انتقلنا فيما بعد إلى المرحلة الثانوية هو في مدرسة تحضير البعثات وأنا في المعهد العلمي السعودي. ثم اجتمعنا في دار البعثة في مصر، وكانت معرفتي به سطحية حينئذ، ولكنها توطدت فيما بعد عندما جاء مع أسرته إلى لندن للتخصص في طب المناطق الحارة.

لقد أُرسل الدكتور هاشم إلى لندن في بعثة على

حساب الدولة. وكان مع الدكتور هاشم زوجته السيدة المصونة فاطمة ابنة السيد طاهر الدباغ رحمه الله وابنه نايف، وكان عمر نايف حينئذ في حدود ثلاث سنوات ونصف. وسكن الدكتور هاشم وأهله في الشقة التي كان يسكنها الدكتور عرب هاشم بعد أن نقل الأستاذ عرب إلى السودان مع السفير الشيخ عبدالرحمن الحليسي على ما أذكر.

وكنت كثيراً ما أتناول طعام الغداء عندهم، وكان نايف يأتي ببعض الطرائف أحياناً مما يضحكنا كثيراً، ورغم أنه أصبح الآن طبيباً يشار إليه بالبنان إلا أن صورته لاتزال أمامي وهو صغير. وكان أحياناً يقلد والده، ويفاجئنا بذلك، وأذكر أن والدته كانت «تلزِّم» علينا أنا والدكتور هاشم بالأكل، فيصرخ هاشم

ويقول: «بس»، وفي أحد الأيام لزّمت والدة نايف ـ حفظها الله ـ عليه أن يأكل، فصاح بها نايف «بث»، فكاد يغمى علينا من الضحك. وكان هاشم يقولها لوالدة نايف مازحاً أما نايف فقالها جاداً!.

كانت والدة نايف بعد أن ننتهي من الأكل تنقل الصحون إلى المطبخ، ثم تأتي بخرقة مبلولة، فتمسح «الطرابيزات» والسفرة، وكان نايف يقلدها، ولاحظت أنه بين آن وآخر، إمعاناً في التقليد، يذهب إلى الحمام، ويبل الخرقة، ويعود إلى غرفة الجلوس ويمسح طرابيزات الشاي، ثم أحياناً ينظف وجه والده بهذه الخرقة المبلولة، وهذا بطلب من والده. ففكرتُ، وهاشم ذاهل في الحديث، كيف يستطيع نايف، وهو صغير، أن يبل الخرقة، فالصنبور عال عليه، ولا

يصل إليه، وكذلك صنبور «البانيو»، فأبديت هذه الملاحظة لهاشم، والسيدة زوجته، فارتبنا في الأمر، وذهب هاشم خلفه خفية، وأطل عليه، فوجده يبل الخرقة من «الكابنيه»، فذعر هاشم من ذلك، خاصة وأنه مسح وجه والده عدة مرات، ولكم أن تتصوروا هاشماً عندما اكتشف هذا، فكاد أن يسلخ جلده ووجهه بالصابون.

والمعروف عن آل الدباغ أنهم مرموقون في الفصاحة، وأنهم أذكياء، ولكِنْ نايف، وهو بهذه السن كان لا يتكلم في مستوى من هو في سنه، وأدركت أن السبب أنه ليس حوله أطفال في سنه، وأن والديه ينزلان في الحديث معه إلى مستواه، ويكتفيان في الحديث معه على ما يُجزي من الكلمات، فمثلاً السيارة اسمها

«لالا»، والبول «أوتو»، والسينما «ميما»، فتدارسنا الأمر، ونصحتُ بإدخاله روضة أطفال، لأن بقاءه بهذا الوضع جناية عليه، وقد لا يسهل تعديل الأمر عندما يكبر إلا بصعوبة، واختلاطه بالأطفال سوف يعوضه عما فات، خاصة وأنه لا ينقصه الذكاء. فدخل الروضة، واستفاد فائدة أكثر مما توقعنا، ففي ظرف شهر صار يتكلم أحسن من والدته باللغة الإنجليزية وحفظ جملاً كاملة بنطق إنجليزي سليم، وكان يأخذ الجملة بمعناها العام، والغريب أن هذا ساعده أيضاً على التحدث باللغة العربية، لأن والديه لم يعودا يحدثانه بلغته بل بلغة الكبار.

كان يحفظ من المدرسة الجمل كأنها «كليشة» كما يسمعها. كان والداه قد جلبا له لعبة قطار، ومددا لها

قضيبا في الصالون، ومرت والدته في إحدى المرات من جانب القضيب، وبدون قصد جاءت رجلها على طرف القضيب فأخلفت مكانه مما أوجب انقلاب إحدى عربات القطار، فالتفت إليها نايف بلهجة إنجليزية سليمة جادة غاضبة، قائلاً لها:

You are a naughty boy naughty.

وهذه جملة تقولها المربية للطفل إذا أخطأ عمداً، ومعناها أنت ولد سيء.

هو يعرف أن هذه الجملة تقال للطفل المخطئ، ولكنه لأنه حفظها كما هي، وكما يقتضيها المقام، لم يبدل كلمة ولد بأم أو امرأة، وإنما جاء بالجملة كما هي. كذلك المربية عندما تقول له الجملة تقف عند كلمة naughty الأولى قليلًا، وهو وقت يؤمل فيه أن

يلتفت الطفل إليها، فتردف كلمة naughty الثانية. ولأنه حفظها كلها جملة واحدة أتى بها دون أن يفصلها عن بقية الجملة.

كان الدكتور هاشم وزوجته المصون يذهبان أحياناً إلى السينما في وقت متأخر، فيتركان نايف عندي، فأقضي معه وقتاً ممتعاً، لأن عندي تليفزيون ويرى فيه برنامج الأطفال ممن هم أكبر منه سناً، ولكنه يتابعه. وكانت شقتي في العمارة نفسها التي هم يسكنون إحدى شققها، ولهذا فالدكتور هاشم لا يجد مشقة في حمل نايف إلى شقتهم إذا كان نائماً. وكنت أحياناً إذا كان نايف نائماً في شقتهم وأرادوا الذهاب إلى السينما أو إلى دعوة أذهب إلى شقتهم، وأذكر أنهما عادا في إحدى الليالي وكان نايف في سريره نائماً، وأنا

على «الكنبة» أغط في نوم عميق وأحلام سعيدة! وكان نايف في أول مجيئهم يسميني عمي «ميما»، ويسمي حسن سالم عمي «لالا» لأن عنده سيارة، وعندي تليفزيون، وهو بفهمه أنه سينما.

ومن الذكريات مع الدكتور هاشم أني كلمته بالتليفون في إحدى الليالي، وكان نايف على وشك أن ينام، فقفز هاشم ليجيب على التليفون، وأقفل الباب بسرعة حتى لا يطير النوم من عيني نايف الذي أوشك أن يتعمق في النوم، ومع العجلة قفل الباب بقوة، ويده لاتزال بين دفتي الباب، فألَمته، وكانت اليد التي فيها «دبلة» الزواج، مما أثر فيها أثراً بيناً بقي إلى أن تقابلنا في الرياض بعد سنوات، ولعل الثني في «الدبلة» لايزال واضحاً. ويقول قبل أن يعرف من هو

الذي على التليفون أنه سبّني سبّاً ذريعاً.

وللدكتور هاشم مع الإنجليز قصص طريفة، وقد أخبرني أنه مرة دخل أحد الدكاكين ليرجع شيئاً اشتراه، ووجد فيه عيباً، فقامت بينه وبين البائع مشادة، فقال لصاحب الدكان باللغة الإنجليزية الجملة العربية التي عادة نقولها عند التحدي: «إن كنت رجّال اطلع لي برّه».

If you were a man come out.

كان الدكتور هاشم في أحد الأيام يسير مع ابنه نايف، فقال له ابنه إنه «محصور»، ويريد أن يذهب إلى الحمام، فقال له: ضعها في حوض هذه الشجرة، ففعل نايف، وصادف أن أحد الإنجليز كان يمر بجانبهما، فانتقد هاشم على هذا الفعل، فرد عليه هاشم بقوله:

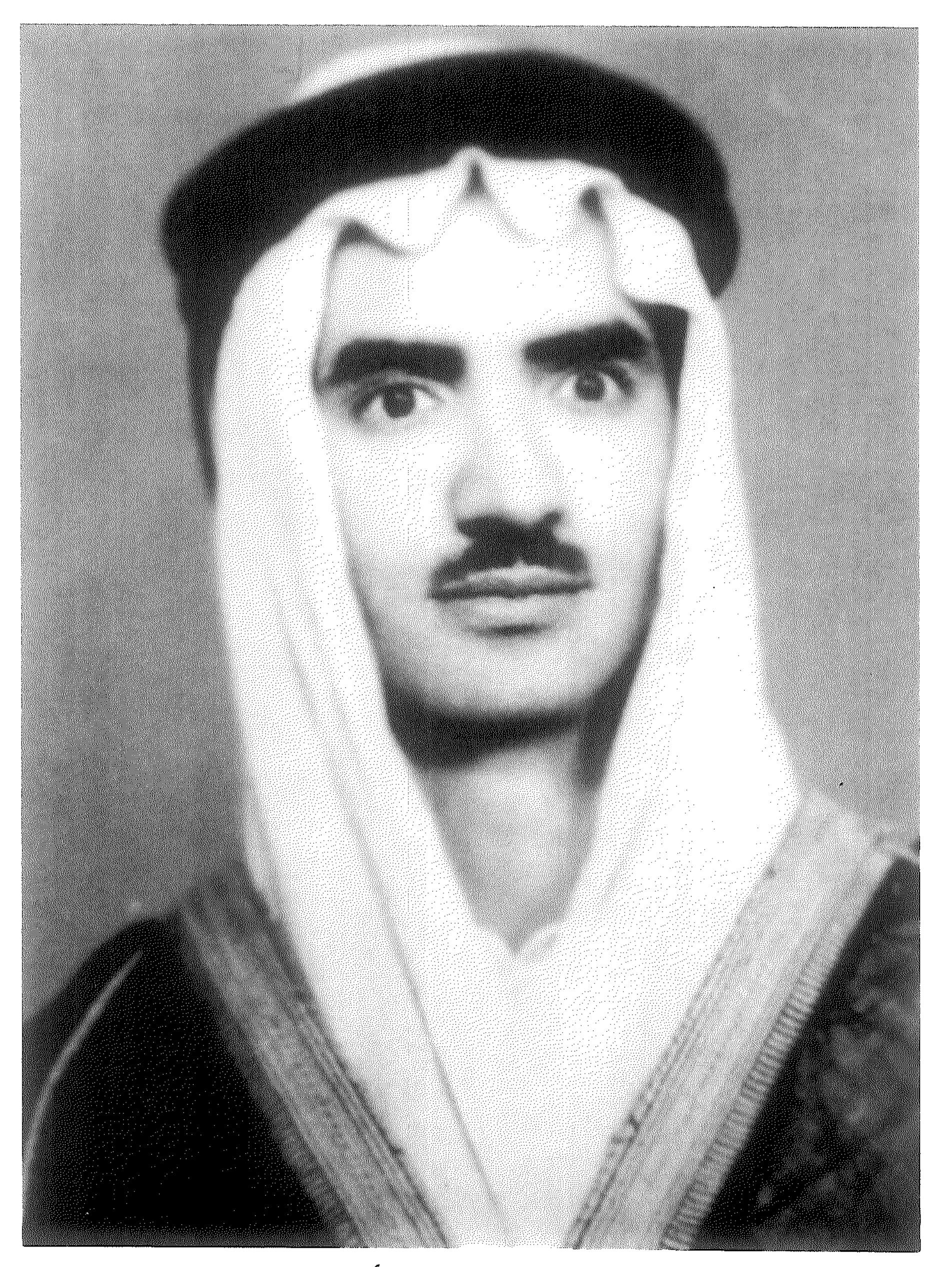
«أليس بول الطفل أنظف من غائط كلابكم؟»، فنظر إليه الرجل الإنجليزي ولم ينبس ببنت شفة، وتركه ومشى.

وقد وجد نايف في كلمة «أُتُّو» التي تعني أنه محصور لعبة يتسلى بها مع والده، فكثيراً ما قال له في أضيق الأوقات «أُوتُّو»، ويتبين أنه غير صادق فيما قاله، فإذا أخذه والده للحمام في الشارع أو في السينما أو في المتجر استجابة لرغبته، التفت إليه نايف ضاحكاً، كأنه يقول لقد ضحكت عليك.

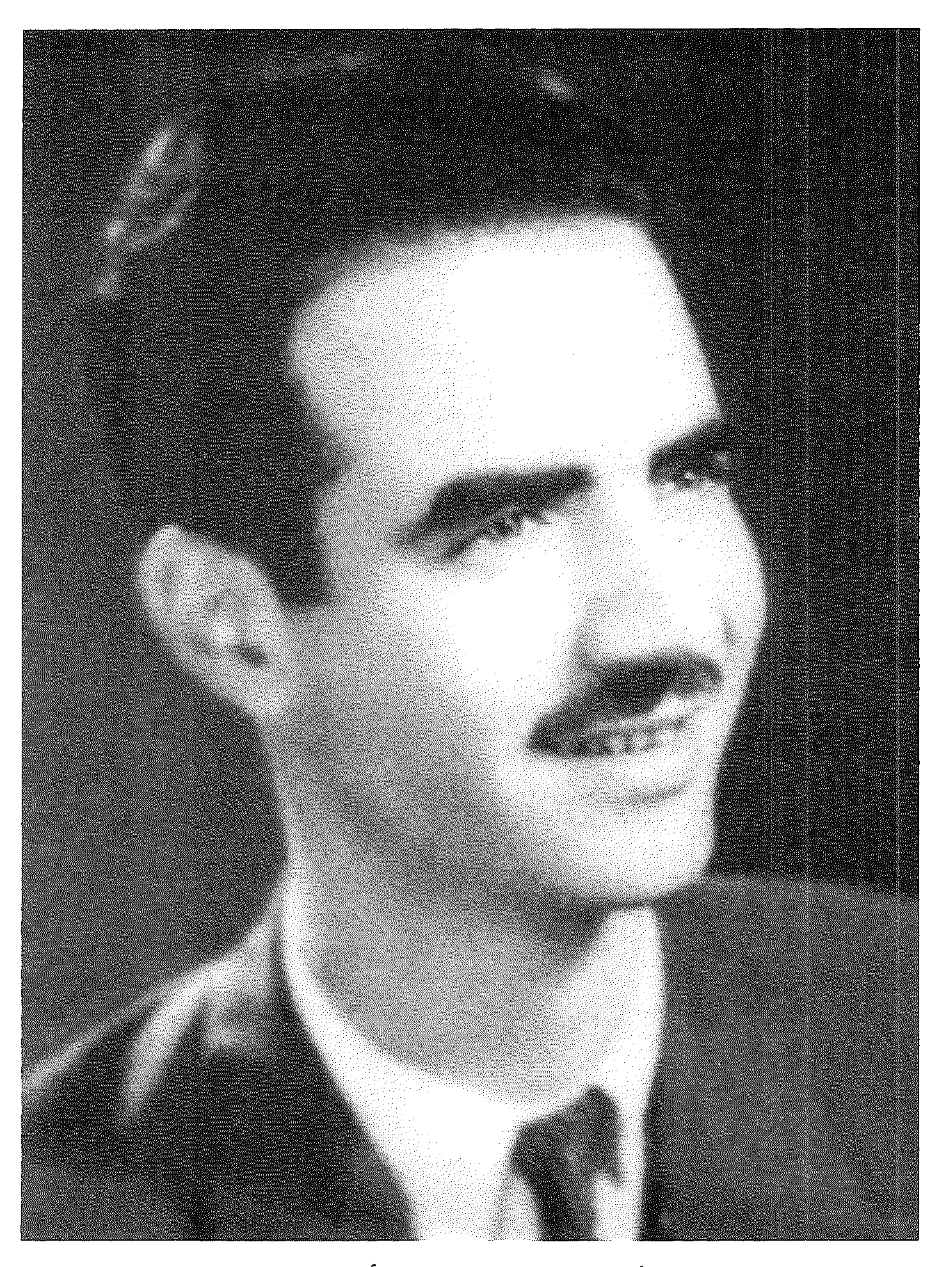
وكان يوماً في إحدى دور السينما مع ابنه نايف، وكان هاشم منسجماً مع الفيلم، فقال له نايف «أُتُّو»، فظن هاشم أنها إحدى مداعباته، فقال له: أطلقها، ولدهشة هاشم رآها تنساب تحت الكراسي منحدرة

إلى مقدمة السينما كأنها حية تسعى، لقد كان نايف في هذه المرة صادقاً.

وقد قضيت مع هذه الأسرة الكريمة وقتاً ممتعاً، وأياماً جميلة، ولا أزال احتفظ ببعض الصور التي تجمعنا. وقد افتقدتهم حقاً عندما تركوا الندن «وبقيت وحدي أُقلّب عيني في السماء». وقد وجدت الدكتور هاشم في الرياض عندما عدت إليها، وعندما عينت وزيراً للصحة كان هاشم مديراً عاماً للطب الوقائي، وكان هذا تخصصه، فقام به على الوجه الأكمل بصدق وأمانة. وقد أحيل على التعاقد في أيام معالي الدكتور غازي القصيبي، وكان حريصاً على التعاقد معه لرضاه عنه.



صورة للأخ الدكتور هاشم الدباغ أهداها لي في لندن



صورة للأخ الدكتور هاشم الدباغ أهداها لي في لندن



صورة للأخ الدكتور هاشم الدباغ في حديقة «هايدبارك»



الدكتور هاشم الدباغ أمام قاعة «البرت هول» المشهورة



مع الدكتور هاشم الدباغ ، وصالح نور



في شقتي في «هاي ستريت كنزنجتن» مع نايف ابن الدكتور هاشم دباغ، وقد ذهب والداه للسينما، وأودعاه عندي



مع نايف ابن الدكتور هاشم دباغ في شقتي ، وقد ذهب والداه للسينما

الدكتور عصام خوقير:

عرفت الأخ الدكتور عصام خوقير منذ أن كان طالباً في السنة الأولى في المرحلة الثانوية في مدرسة تحضير البعثات، بقلعة هندي عندما كانت ملتقى المدارس الابتدائية في السنة الثالثة والرابعة منها، ومقر تحضير البعثات والمعهد، وعرفت كذلك أخاه محمد، وهما من أسرة كريمة في مكة ومرموقة، وكان والده ذا مقام قيادي في آخر أيام الشريف حسين، ولعله أصبح أحد أعضاء مجلس الشورى في عهد الملك عبدالعزيز.

وقد تزاملنا مع محمد وعصام فيما بعد في دار البعثة في مصر، وكانت صلتي بمحمد حينئذ أكثر من صلتي بعصام، وقد دخل عصام كلية الطب، وتخصص في

طب الأسنان، وبهذه المناسبة، وكما هي طبيعة عصام المرحة دائماً، يروي لنا أنهم قدموه للشيخ محمد بن مانع عند زيارته للبعثة في مصر، وعرف أن تخصصه طب أسنان سأله: ما دِيَة السن؟ وقد تكون هذه من تأليف عصام.

جاء عصام إلى انجلترا، وانضم إلى مجموعتنا التي ذكرت أنها كانت تجتمع أحياناً عند الأستاذ عرب هاشم في شقته، ولكن مدة إقامة عصام في لندن لم تطل وعاد إلى المملكة.

وهناك قصة طريفة أحد أبطالها عصام، فكان الأستاذ عرب يدعونا أحياناً إلى وجبة سريعة، وهي ما يؤكل على «الكاونتر» نصف واقفين، وكان ذلك في «ليستر سكوير» أو «بيكاديلي سكوير» في فرع من فروع «لاين

كورنر»، فجلس من جلس على «الكونتر» وبقيت أنا وعصام على طرف ننتظر أحد الجالسين ينهض ونأخذ مكانه، وكان عصام واقفاً بجانب أحد الأشخاص، وبدا له أنه أوروبي، فأطال هذا الرجل المكث، وبدأ عصام يتضايق، وزاد تذمره، فأخذ يسب هذا الرجل بكلمات مقذعة، ويرددها، والرجل لا ينتهي من فنجان القهوة إلا ببطء يوحي بأنه مقصود، ولا ينتهي من فنجان إلا ويطلب آخر، وعصام يكيل من كلمات السب والشتم، وكاد يمر نصف ساعة ونحن على هذا المنوال، الرجل يزيد في طلب أكواب القهوة وعصام يزيد من الشتائم، ثم أخيراً نهض الرجل، والتفت إلى عصام مبتسماً، وقال بلهجة مصرية هادئة «عفواً أكونش أخّرتكم»، وكاد أن يُغمى على عصام، وكان

عصام وهو يسب الرجل يتكلم باللهجة المصرية التي يجيدها، ويكاد لا يتكلم إلا بها.

وعاد الدكتور عصام إلى المملكة، وزاول عمله طبيب أسنان وبرز في هذا العمل، وبرز أيضاً كاتب قصة، ولعل حرفة الأدب عنده غلبت على الطب، وظهر له أكثر من قصة طويلة أخذ بعضها طريقه إلى الإذاعة على ما أذكر.

السيد عمر السقاف:

خلف السيد عمر رحمه الله الأخ عبدالرحمن الحليسي سكرتيراً أول في السفارة السعودية في لندن، وكان رجلاً مسالماً يحب الخير وبعيداً عن الشر، واسع الصدر، جاداً في عمله، محبوباً من العاملين معه، مع هيبة ووقار.

حدث الاعتداء الثلاثي على مصر أثناء عمله وغياب الشيخ حافظ وهبه، فقطعت العلاقات مع الدول الثلاث المعتدية، فغادر السيد عمر ومن معه من الموظفين لندن. وتولت السفارة الباكستانية شؤون الرعايا السعوديين، ومن جملة من غادرها الأستاذ عرب هاشم، وعرب هاشم كان زميلاً للسيد عمر في مدرسة تحضير البعثات إلا أنهما لم يكونا في سنة واحدة، وعرب درس بكالوريوس كلية التجارة في الإسكندرية في مصر، والسيد عمر دراسته الجامعية في الجامعة الأمريكية في بيروت.

كان السيد عمر عطوفاً على صغار الموظفين، ولأن الأخ حسن رضوان كان أصغرهم سناً ووظيفة فقد حظي، مما رأيته برعاية الأب لابنه، وكان الامتنان

وافياً من جانب حسن، وهذا يزيده إخلاصاً لعمله، وأن يكون عند حسن الظن.

وبُعد السيد عمر عن الشر يذكرني بقصة محتال جاءنا في لندن، وادعى ادعاءات متناقضة وقلقة، وعندما بدأ ما يأتي منه يسيء إلى المملكة؛ بحثت أمر تدخل السفارة فلم ير السيد عمر هذا بُعداً عن الشر، وقال إنه لم يأتنا شيء رسمي يستوجب التدخل، وقصة هذا الشاب تتلخص في الآتي:

قابلت (أ) الشاب عند طلاب بعثة الحرس الملكي في إحدى زياراتي لهم، وادعى أنه خريج لندن، وادعى أنه حاصل على بكالوريوس التجارة وأخرى في القانون، وأنه عاد إلى المملكة ولم يجد التقدير الذي يتوقعه، والحاجة ماسة له وأمثاله في هذه المرحلة من نهضة

المملكة. وقال إنه سوف يبقى ليدرس للدكتوراه.

وقد حيرتني هذه المعلومات، فكيف يكون هناك طالب بهذه الصورة ولا يدري عنه الشيخ عبدالرحمن الحليسي، ولم أكن رأيته في الجامعة في أي مناسبة من المناسبات، ولم أكن سمعت عنه، وكيف استطاع في هذه السن أن يحصل على شهادتين، وما الداعي للجمع بينهما، والمرء يفرح عادة بواحدة منهما.

أخذت أناقشه في هذا فقال من جملة ما قال إنه كان منكباً على دراسته، ومنقطعاً لها، لا يعرف التنزه أو الإجازات، وأنه كان يمر عليه أحياناً أكثر من ستة أشهر دون أن يمر «ببكاديلي»، وبدأ يزيد شكي في صحة ادعاءاته، ولم تكن لغته الإنجليزية تعضد أقواله، بل إنه كان يتفادى الحديث بها ما أمكن. وسألته إن كان

قد حدد موضوع رسالته للدكتوراه، وأهي في التجارة أو في القانون، فأخذ يراوغ، ولم يعطني جواباً شافياً، لا عن الرسالة ولا عن المشرف. وعندما سألته: من أي مدينة هو في المملكة أعطاني اسم إحدى المدن التي تبين لي أنه لا يعرف أحداً من أهلها.

يقول المثل العامي: «إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً»، فهذا الشاب ظهر أنه «جائع مجد»، وكلما لمع له بارق أمطرت سحائبه سيلاً جارفاً، فقد ادعى لبعض القوم أنه على وشك أن يحصل على درجة الدكتوراه وهو منذ أقل من شهر قال لي إنه على وشك التقدم لدراستها، ولم يحدد الموضوع الذي سوف يدرسه. ومن كل هذا تبين لي وللإخوان أعضاء البعثة العسكرية أنه رجل مدع، وليس عنده شيء مما يدعيه، فصاروا يأخذون

أقواله من باب الهزل، ويحاولون أن يستزيدوه من الأقوال عن أفعال براقة. وبلغنا أنه يذهب إلى بعض المراقص والكباريهات ويدعي أنه شخصية سعودية مهمة، وعند هذه الخطوة أوصلت الخبر للسيد عمر، وقال لي ما قال.

وقد سافر (أ) إلى المملكة؛ ولعل هذا بسبب نفاد ما معه من نقد يقال إنه حصل عليه من أحد كبار الشخصيات في إحدى دول الخليج ليجلب بها مصنع ألبان، فأنفقها، وكان يأتي أحياناً ومعه فتاة شقراء فرنسية، ولم نسمعه يتكلم الفرنسية أو الإنجليزية.

وعندما عاد للمملكة التحق بإحدى الدوائر الحكومية مترجماً، وسرعان ما سافر مع رئيس هذه الدائرة مساعداً لمترجم سبقه إلى العمل، فاكتشف في

هذه الرحلة أنه لا يعرف اللغة الإنجليزية فاستغنى عن خدماته.

قبل أن يفصل من عمله جاء إلى فرنسا واتصل بالأخ علي عوض هناك، وأقنع الأخ علي بأنه جاء على حساب هذه الدائرة الحكومية المهمة، وطلب أن يتصل بالسيد عمر ليهيء له سكناً ومصاريف إقامة، ففوجئ السيد عمر، ولكن المفاجأة الأكبر عندما وصل (أ) إلى لندن، وزار السيد عمر، وطلب منه خطاب تعريف للبنك، ولكن السيد عمر لم يستجب لطلبه هذا. وكانت هذه اللحظة انتصاراً لي على السيد عمر رحمه الله وقلت له الآن: «الحيَّة في عبّك» أعانك الله.

وكانت تأتينا بعض أخبار (أ) بعد أن فصل من عمله، ومنها أنه ذهب إلى لبنان، واتصل فيها بمن

كان من «عقيل»، وكانت عادتهم أنه إذا مرّ بهم ذاهب للمملكة أعطوه مبالغ لإيصالها لمن يحددونه، فمر بهم (أ) وأعطاه أحدهم ظرفاً به مبالغ وافية، فتعهد بإيصالها لصاحبها، ولكنه عاد في اليوم التالي، وأعادها لصاحبها، وادعى أنه في آخر لحظة عند ركوب الطائرة حصل نزيف مع زوجته اضطره لتأجيل الرحلة إلى المملكة، وسيرسل زوجته إلى سويسرا. وأعاد الظرف كما هو، ولا يدري أن فيه مبلغاً ضخماً. ثم طلب منهم أن يسلفوه خمس مئة ليرة، فسلفوه المبلغ، وهو غير قليل بمستوى المعيشة في تلك الأيام. والقوم لا يعرفون أن الأمر من أساسه حيلة لأخذ هذا المبلغ، لأنه لم يكن متزوجاً، ولم يكن ينوي السفر إلى المملكة، ولكن هذا المبلغ طفيف بالنسبة للمبلغ الذي في الظرف.

الأستاذ عرب هاشم:

كان الملك عبدالعزيز يداعب والد الأستاذ عرب، وكان يسمى «أبو عرب»، فيقول له الملك إذا كنت أبو عرب، فأنت على هذا «أبي»، قال: لا يا طويل العمر؛ أنا أبو عرب واحد، وأنت أبو العرب كلهم ـ رحمهما الله ـ أبو عرب كأنه أمامي الآن في دكانه في سويقة، وعرب يشبهه كثيراً.

مر بعض الحديث عن الأستاذ عرب ـ شفاه الله ـ وعن صلتنا به: حسن سالم، وعصام خوقير، وعمر فقيه، وأنا، وأحياناً ينضم إلينا بعض الوافدين الجدد، أو العابرين إلى أمريكا. وكان عرب كريمًا إلى حد الإسراف، لا يُبقي من مرتبه على ضخامته بنساً واحداً آخر الشهر. وهو يدعونا كثيراً إلى الغداء عنده في

البيت أو خارج البيت، ويصر على أن نحضر، وكان يأتي إلينا فيخرجنا من مساكننا. وكانت السيدة حرمه ترقب الأمر ولا تستطيع تغيير طبعه، خاصة وأنها ترى بهجته في الإنفاق، ولكنها في الوقت نفسه تود أن يكون في يده شيء ينفع وقت الضيق، وكان يضع المبلغ في جيبه، ثم يدخل يده ويخرج ما يخرج منها، ولا يدري كم خرج وكم بقي. فقررت ـ وفقها الله ـ أن تبدأ بأخذ مبلغ طفيف، وتوفره دون علمه. وكان لا يلاحظ لأنه كلما احتاج سحب من البنك.

وحملت زوجته ـ حفظها الله ـ حملها الأول، ونزل ميتاً، وحملناه إلى مقبرة خارج لندن، وصلينا عليه ودفناه. وقد عزيناها، وهوّنا عليها الأمر، وقلنا إن أول حمل غالباً يسقط، لأن الأم لا تكون مستعدة

لأصول الحمل، فهي تتحرك وتتصرف كأنه ليس في بطنها حمل، وذكرناها بما يقال عن أن مثل هذا الحدث يكون تهيئة طيبة للحمل بالطفل الثاني.

وعلى إثر هذا الحدث رأت أن من المناسب أن تذهب للراحة في المملكة، وأن تكون بين أهلها، وهو رأي سديد، وأبدت هذه الرغبة لعرب، فرحب، ولكنه أخذ يسوِّف وهو ما توقعته ـ وفقها الله ـ وعرفت أنه ليس عنده المال للهدايا وتذاكر السفر. وصارحته وقالت: لا يهمك المال فأنا قد وفرت من المصروف خمس مئة جنيه، وهو مبلغ كبير في عرف تلك الأيام، وكانت مفاجأة صاعقة لعرب، فاغرورقت عيناه بالدموع امتناناً لها، فسارع بأخذ أجازة، وسافر معها. وأظن أن ذلك قبل الاعتداء الثلاثي مباشرة، لأني أذكر

أنه وكل أمر تصفية الشقة إلى أحد الإخوان، فأخذها الدكتور هاشم الدباغ وأكمل فيها مدته.

ومن الطرائف التي لها صلة بالأكل والأستاذ عرب، أن أهله في وقت من الأوقات لم يكونوا عنده في لندن، فدعانا على الغداء، وكان الاتفاق أن نطبخ «كبسة»، وكان المفروض أن يكون هو الطباخ الأول ونحن مساعدون، وكانت عادته أن يتأخر في النوم فلا يصحو إلا الساعة الحادية عشرة، ولعل ذلك اليوم كان يوم أحد، أو أحد أيام الإجازات فجئنا على الموعد، فوجدناه على عادته قد استيقظ متأخراً، وأفطر متأخراً، فبدأنا إعداد الغداء، وكبسنا الرز مع اللحمة، وأقفلنا القدر، وخففنا النار، وكانت الساعة الثانية عشرة تقريباً، وكلما ذهبت لأرى إذا كان «الرز»

قد شرب ماءه، فأجده كما تركته في المرة السابقة، حتى قاربت الساعة الثالثة، و «عصافير بطننا لا تزقزق بل تصيح»، فشككت أن في الأمر شيئاً، وأبديت شكي للأخ عمر فقيه، فوظفت حواسي، وراقبت عرب، فصدق حدسي، إذ كان عرب يغافلنا فيزيد القدر ماءً لأنه لم يكن جائعاً، وأراد أن يؤخر النضج حتى يجوع هو، وهكذا انقلبت الكبسة إلى شربة رز.

سافر السيد عمر سقاف خارج انجلترا، فدعاني عرب على العشاء في أحد المطاعم الفخمة، وأخرج السيارة الكاديلاك الرسمية، المخصصة لاستعمال السفير، ونحن في طريقنا للمطعم لمست السيارة الكاديلاك سيارة أخرى، فأوجب هذا إحالة الأمر لشركة التأمين، ولم يكن الأخ عرب يود أن يُعلم بأنه

أخذ السيارة، ولكن هذا الحدث أوجب أن يعرف السيد عمر ذلك، ولكنه لم يتحدث عنه مع عرب، وتحدث معي أنا عنه، فهونت من الأمر على السيد عمر، وقلت إن الأمر لا يعدو أن يكون مثل ما حدث عندما لمست أنت طرف البوابة عند دخولك السفارة في الأسبوع الماضي، فضحك رحمه الله وعرف أني ركزت على جانبي الغشامة في السواقة عند كليهما.

الأستاذ سالم سنبل :

الأخ سالم أحد التلاميذ الذين جاؤا من المدينة المنورة لمكة المكرمة للدراسة في مدرسة تحضير البعثات الثانوية، وكانت معرفتي به حينئذ سطحية، ولكنه كان مشهوراً بين الطلاب، وشهرته جاءت من صوته الجميل، وكان يقرأ القرآن في مناسبات الدراسة،

ويرفع الأذان في القسم الداخلي.

وقد عرفته أكثر عندما ذهبنا للبعثة في مصر، ولكن المعرفة الحقة، والصداقة العميقة تمت في لندن عندما التحق بالسفارة فيها مع السيد عمر السقاف والأخ عرب هاشم. وسالم رجل دين وعلى خلق مستقيم، تؤذيه المناظر المتفسخة في الشوارع، وتبرج النساء، ولا يخفي تذمره مما يرى، ويديم حمد الله على ما عليه بلادنا.

كان يسكن في الشقة التي تركها هاشم أو لعله كان في شقة أخرى في العمارة نفسها «كينتن كورت»، وإذا كان سالم بديع الصوت وأُذُنه موسيقية، وكان يعزف على العود، وقد أحضر عوداً معه إلى لندن، وتركه عندي عندما غادر، ولا أدري ما انتهى إليه أمر العود، فلم يكن بالإمكان إرساله إلى المملكة في تلك الأيام، لأنه

لا محالة سوف يحطم في الجمارك. وكنت أزوره في شقته وأستمع إلى عزفه وأغانيه، وزرته أكثر من مرة ومعي رجل إنجليزي اسمه «جلبرت موريس» كان يدرس اللغة العربية في جامعة لندن، وهو من سوف أتكلم عنه عندما يأتي الحديث عن المدة التي عرفته فيها هو وزوجته، وتقلب الأستاذ سالم في عدة مراكز في وزارة الخارجية حتى وصل إلى مرتبة رئيس مراسم لها، ثم لما انتقلت وزارة الخارجية إلى الرياض بقي هو في جدة مسؤولاً عن فرع وزارة الخارجية هناك، حيا الله أبا هانئ.

الدكتور عبدالعزيز كردي :

أعرف الدكتور عبدالعزيز منذ أن كان طالباً في السنة الرابعة الابتدائية في القلعة، وهي تساوي اليوم الأول متوسط، وقد انتقلنا من السنة الثالثة فوجدناه

معيداً في السنة الرابعة، وهذا غريب عليه، لأنه من الأذكياء البارزين، ولكن لعله كان مشغولاً مع مطبعة كانت للأسرة، لأني أذكر أنه كان يحضر معه منها بعض الحروف. وقد نجح الدكتور عبدالعزيز والتحق بتحضير البعثات، ثم ابتعث إلى كلية الطب في مصر، ونجح.

ثم جاء الدكتور عبدالعزيز في هذا العام إلى لندن، وكان الهدف الأساس أن يتمرن لبعض التخصصات ولكنه انشغل لأمر صحته، فقد كان يعاني من آلام في الأمعاء، فأجري له عملية جراحية، استؤصل له فيها جزء كبير من الأمعاء الغليظة، وهي من العمليات الحديثة حينئذ، وأجراها له الطبيب الوحيد المتخصص حينئذ، ولعله من القلائل في هذا الحقل. وقد ألف

هذا الطبيب النطاسي في هذا التخصص كتاباً قرأه عبدالعزيز قبل أن يقدم باقتناع على إجراء العملية.

وعبدالعزيز ذكي، فقد كنت أصحبه أحياناً إلى ناد قريب من بيتي، وكان من جملة نشاط النادي لعبة الشطرنج، وكان من بالنادي يعدون محترفين، فكان عبدالعزيز «حرِّيفاً» في هذه اللعبة، وقد غلبهم كلهم، وأدهشهم بسرعة انتصاره عليهم، فلا يكادون يبدؤون حتى يخرجهم من اللعبة.

الأستاذ محمد الجَرْح :

في هذا العام انضم إلى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية (S.O.A.S) في جامعة لندن أحد زملائنا المصريين في دار العلوم بجامعة فؤاد الأول، وهو الأستاذ

محمد الجَرْح، وكانت دراسته في بعض جوانب اللغة العربية، وكان من المبرزين في دار العلوم، ولعله كان الأول في «دفعتنا»، ولهذا حُق له أن يبتعث على حساب الحكومة المصرية إلى لندن للدراسة للدكتوراه، وقد وفق في الحصول عليها. وقد رأيته بعد أن عاد من لندن عدة مرات، رأيته في المملكة العربية السعودية عندما التحق مدرساً في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة، ثم مدرساً في الكليات المتوسطة، ثم عاد مرة أخرى إلى جامعة الملك عبدالعزيز في عام ١٩٨٣م.

قد يستغرب بعض من لا يعرف أمور الدراسات العليا كيف يذهب خريج دار العلوم ليدرس شيئاً عن اللغة العربية في جامعة لندن ولا يدري أن الدراسة للدكتوراه ليس الهدف منها المعلومات بقدر ما هي

طريقة البحث، فهو في جامعة لندن يتعلم طرق البحث ثم يطبقها على بحث يمكنه أن يقدم فيه شيئاً جديداً، أو يصحح خطأ شائعاً، أو يوجه أمراً كان في طريق الخطأ إلى طريق الصواب، فيكون بهذا كسب أمرين: الأول تعلم طريقة البحث والتنقيب وما يتبع ذلك من صياغة وما يسبقها من منهج، والثاني صحح بطريقة علمية خطأ.

الأستاذ صالح با بصيل:

مرّ شيء عن الأخ صالح با بصيل فيما سبق لي هنا من حديث، وأزيد هنا أنه بكيمبرج التحق بمدرسة هناك، وأذكر أنه سكن في شارع اسمه «كرانمر»، وكنت أزوره أحياناً ومعي الأخ الأستاذ حسن المشاري، لأن «حسن» كان زميله في أرامكو، ولعل فكرة دراسة

كل منهما للغة الإنجليزية نبتت في ذهنهما معاً. وصالح خريج كلية الشريعة في الأزهر ومع هذا التحق بأرامكو، وبدأ بعمل صغير، وهو أنه كان على مكنة المحاسبة في مطعم أرامكو، وقد عاد صالح إلى أرامكو بعد أن تسلح باللغة الإنجليزية، ثم لما أصبح الأستاذ حسن وكيلاً لوزارة المالية في أوائل الثمانينات الهجرية استقدمه وعينه مديراً للمحفوظات ولعله بقي فيها إلى أن تقاعد.

الدكتور محمد المعتصم المجذوب:

وهو من الإخوة السودانيين الذين تعرفت عليهم في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية (S.O.A.S)، وأظنه من خريجي دار العلوم في القاهرة. وكان قد حصل على الدكتوراه قبلنا من جامعة كيمبرج، وقد

يكون دوره في جامعة لندن، في مدرستنا، هو التدريس، فأنا لا أتذكر الآن، رغم صلتي الوثيقة به، وكان من خيرة من تعرفت عليهم. وقد توطدت الصداقة بيننا إلى الحد الذي جعلنا نذهب معاً إلى فرنسا، وكان هو أقوى مني في اللغة الفرنسية، لأنه سبق أن أقام في فرنسا لدراسة اللغة صيف العام الماضي، وأقام في مدينة «تُورز» ودرس في معهد اللغة هناك، وهو الذي شجعني على المجيء لهذه البلدة الجميلة، والالتحاق بمعهدها لتعلّم اللغة.

السيد جلبرت موريس:

هذا رجل إنجليزي وزوجته أسكتلندية، ولعله يكبرني بثلاث أو أربع سنوات، ولا أدري أسباب انضمامه لهذه المدرسة متأخراً بعد أن قضى مدة غير

قصيرة في الوظيفة إلا أن يكون ذلك ليوفر المال للدراسة، ولابد أني سألته عن ذلك، ولكني لا أذكر جوابه، وقد التحق ليدرس اللغة العربية، وهذا قد يوحي بأنه رتب أن يعمل مع إحدى شركات البترول.

توطدت علاقتي مع «جلبرت» وزوجته «آيرس» وكانا نعم الصديقين، على خلق فاضل، وروح طيبة، وكان ضليعا في الإسلام، ونظرته إليه نظرة تبجيل، وقلت له مرة من يسمعك يظنك مسلماً، ولكن يبقى أن «تُطهّر»، فقال: إني مطهر منذ الأسبوع الأول من ولادتي، واكتشفت أن بعض المستشفيات في انجلترا تقوم فعلاً بتطهير المواليد. وقد حصل على درجة البكالوريوس من هذه المدرسة، وقد توطدت علاقتي معهما كثيراً، وأصبحت الأسرة كأنها أسرتي، ولم يرزقا بأولاد فتبنيا



في شقة أسرة موريس، ومعي ابنهما «قاي» ووالده جلبرت موريس، ووالدته «آيرس» هي التي التقطت الصورة، وخلفي أحمد الهوشان



في حديقة «هايد بارك» مع ابن عائلة «جلبرت موريس» العائلة الصديقة

طفلاً سمياه Gay «قاي»، وقد شب عن الطوق، ورأيته بعد ما يقرب من عشرين سنة من انتهاء دراستي فرأيت رجلاً ملء برديه، ورأيته هادئاً رزيناً خلاف ما كان عليه عندما كان طفلاً.

حاول «جلبرت» بعد تخرجه أن يعمل مع إحدى الشركات البترولية في إحدى دول الشرق الأوسط إلا أنه أخفق، وحجة الشركات غريبة، قالوا له: إنك مبرز في كل شيء، ونحن نريد أن تكون مبرزاً في شيء واحد، نخصصك له، ولا أدري ولا يدري هو هل هذه حجة صحيحة، أو مجرد عذر عن توظيفه؟! فالتحق بعد ذلك بوزارة الخارجية، وبدأ بوظيفة في عدن، انتقل بعدها إلى عدة بلدان، منها الكويت وإيران وأسبانيا، وقد رأيته في الكويت في إحدى رحلاتي الرسمية إلى هناك، وأمّلت

أن ينتقل إلى المملكة ليتعرف عليها. وقد زرتهم في لندن مع زوجتي وأولادي بعد أن أجهدنا البحث عنهم، وكان قد تقاعد، ولكنه لا يزال يقوم ببعض الأعمال لوزارة الخارجية. وقد لقيت الزوجين كما كانا من قبل لم يغيرهما الزمن، وكانت سويعات بهجة عندما رأيناهم.

وقد بدأ جلبرت في ترجمة كتاب «الجاحظ» «البيان والتبيين»، وكان يؤمل أن يأخذ الدكتوراه. ورغم أنه قطع شوطاً طويلاً في ترجمة كتاب «البيان والتبيين» إلا أنه عزف عنه أخيراً دون أن يكمله، ولم يتبين لي أنه أضحى يهتم بهذا الأمر، وحاول في مرحلة من مراحل دراسته أن تكون رسالته في الشطرنج عن طريق ترجمة أحد الكتب المؤلفة عن الشطرنج، لكن البروفيسور «سرجنت» لم يجد أنها تليق بالدكتوراه.

السبت ١٩ فبراير:

لا أذكر حتى الآن أني زرت مدينة «أكسفورد» على أهميتها خاصة بالنسبة للجامعات، فهي حتى ذلك الوقت تضم ثالث جامعة مهمة في بريطانيا بجانب «كيمبرج» و «لندن». ولهذا قمت بزيارتها في هذا اليوم، فإذا كان السبب أني أريد أن أراها فالغريب أني لم آت بتفصيل عن هذه الزيارة، ولم أذكر إذا كان أحد معي فيها، أو أن هناك من استقبلني وعرفني على هذه المدينة العريقة، وقد يكون سبب الزيارة ـ وهو الغالب عندما أفكر في تاريخ الزيارة ـ أنني ذهبت مع أسرة «آل بل»، لزيارة ابنهم (تمْ) (تِمَثي)، فقد كان يدرس هناك في جامعتها، وكان دائماً يحثنا على زيارته، ولعل هذه الزيارة استجابة لطلبه الملح.

وقد زرت «أكسفورد» فيما بعد عندما كنت وكيلاً لجامعة الملك سعود في أوائل الستينات، وكان ومعي الدكتور عبدالله الوهيبي رحمه الله وقد جئنا لحضور مؤتمر علمي هناك في جامعتها. وكان ذلك في أحد أشهر الصيف، ولم تكن تغيرت، فهذه البلدان لا تتغير إلا قليلاً، لحرص أهلها على بقاء الآثار القديمة والمرافق العامة القديمة، وأغلب التغيير يأتي على الأطراف في الضواحي على حساب الحقول التي عادة تحيط بالمدن، وحتى هذا أمر غير مرحب به من الأهالي، وهم مثل غيرهم من الناس لا يرضيهم لمس مظاهر الطبيعة، ولا يلقي أحد منهم باله لمقتضيات التنمية، ونمو السكان، ومتطلبات ذلك من المرافق والمستلزمات، وهم يتذمرون؛ وعجلة التوسع نشطة لا يردها راد.

الأسرة الهنقارية :

زار في هذه الأيام أسرة آل بل أسرة هنقارية، تسكن قريباً من بيتنا، تعرفت عليها الأسرة، وهي أب وزوجته وابن وبنت، ويأتون لزيارتنا بين آن وآخر، ونزورهم أحياناً، والأب يبدو أنه أكبر من الأم كثيراً، وهي أسرة هنقارية هاجرت من هنجاريا على أثر اضطهاد الشيوعيين لأهلها.

جاءت هذه الأسرة وليس معهم رأس مال ولكن والدهم - وهو صيدلي - استطاع أن يجمع من المال ما مكنه من بدء مصنع «سجق» صغير، وأخذ يتوسع تدريجاً، وينشئ له فروعاً، وقد وصلت في هذه السنة إلى سبعة مصانع متوسطة، وهو فخور بعمله هذا وبنجاحه، ويتحدث عنه كثيراً، وكان يصبح أضحوكة لمن حوله

عندما يشرب كثيراً، ويبدأ الحديث عن عمله هذا. وبعد سنوات دخل الابن (بيتر) كلية الطب، وتخرج منها، والابنة (فيرا) تزوجت وهاجرت إلى كندا.

عملي في هذا الشهر:

ودونت في هذا الشهر ملاحظة عن تحضير مفردات وكلمات كان طلبها البروفيسور «سارجنت» والدكتور عرفات الذي كان يساعده في قسم اللغة العربية.

وقد حرصت في هذا الشهر أن أحصل على أسئلة امتحان التاريخ للسنوات الماضية لآخذ منها فكرة عن اتجاه الأسئلة، وعن طريقة وضعها، حتى أكون مستعداً لما سوف يلقى عليَّ من أسئلة في الامتحان، وقد قرب وقته.

أما الدراسة فعلى أشدها، فحضور محاضرات متتالية ومتنوعة، وكتابة بحوث لكل واحد من الأساتذة، وقد أصبح في هذا متعة بعد أن تقدمت في معرفة اللغة الإنجليزية.

الخميس ٢٤ مارس:

ذهبت اليوم إلى المعهد البريطاني الساعة الثانية والربع بعد الظهر، وكانت المحاضرة عن «شارلز ديكنز». ودخلت فيلماً بعد ذلك اسمه Great Expectation (التوقع الكبير).

السبت ٢٦ مارس:

اليوم هو موعد السباق السنوي للقوارب، والمنافسة سنوياً تتم بين فريقي «أكسفورد» و «كيمبرج»، وهو

سباق مهم يتطلع الناس إلى موعده، ويتحمسون له، ويقفون آلافاً على شواطئ النهر في انتظار المتسابقين.

ذهبت مع أسرة آل «بل» إلى «ويست مينستر بير» Westminister Pier لنشهد السباق، واهتمامنا به هذا العام من أجل ابنهم «تمثي»، وهو من سبق أن زرناه في أكسفورد سابقاً.

وهذا السباق مهم لهاتين المدينتين وجامعتيهما إلى الحد الذي يجعل للفريق السابق نظرة أكاديمية خاصة، يعطى بسببها أفراد هذا الفريق السابق امتيازات في درجات التقدير الأكاديمي تجبر النقص الذي قد يكون تعرض له أحدهم في دروسه، وعلى هذا فالسباق في المقدمة والدراسة في المؤخرة! وهذا يفهم عندما يعرف أن الطالب يجهد في التمارين، ويضيع عليه وقت كثير،

لهذا وجد أن من الإنصاف إعطاءه درجات فيها اعتراف على أن السباق ثقافة للذهن والروح.

الإثنين ١٨ أبريل :

سجلت في هذا اليوم انتهاء الاشتراك في المعهد البريطاني، ولم يتبين حتى الآن ما إذا كنت جددته أم لا، لأني كنت حريصاً على الالتحاق بما يفيد لغتي الإنجليزية، حتى أني التحقت مع هذا بمدارس خاصة بتعليم اللغة، والتحقت ببعض النوادي، وحرصت على دخول الأفلام، خاصة الإنجليزية منها.

الأربعاء ٢٧ أبريل :

بهذا اليوم تبدأ الفترة الصيفية بعد الدراسة، وسيكون في هذه الفترة امتحاني، وسينتهي هذا الامتحان

يوم الإثنين (٢٠) يونيه.

عندما حان موعد الامتحان عقد في «كنجز كوللدج» في حي «كنزنجتن» قرب «كرمول رود»، في قاعة كبيرة، فيها طلاب من عدة اختصاصات ومستويات. أنهيت مادتين من ست مواد، وصادف أني ذهبت في يوم لاحق للكلية، فقابلت البروفيسور لويس صدفة على الدرج فسألني عما بقي، فأخبرته، فقال لي: لقد اطلعت على الورقتين اللتين انتهيت منهما، ومن مستواهما أرى أنك لا تحتاج أن تكمل الامتحان، ويمكنك أن تذهب الآن وتسجل لرسالة الماجستير. وقد أعفاني بعد سنة من الماجستير وحولها رأساً إلى دكتوراه. وقد قدّر الجهد الذي بذلته في التحضير لامتحان المعادلة، وما وجده في عملي للماجستير بعد

سنة من البحث. وكان دائمًا يشجعني بمدح ما أقدمه، ويطيل معي الحديث والنقاش، ونخرج في الحديث عن دائرة دراستي إلى بعض حقول أزمنة التاريخ الأخرى، أو اللغة العربية، وهو رجل مُريح ومَرح، وذو ذهن صاف ولمّاح.

الأربعاء ٤ مايو :

احتجت إلى مراجعة طبيب أسنان، لأن السن التي على يمين الثنية كانت متخلخلة، وكانت تؤلمني إذا لمسها شيء، وكذلك عند الأكل، وما بقاؤها، وتحمل ألمها طوال هذه المدة إلا لأنها تسد ثغرة. فدلتني السيدة «بل» على طبيب أسنان جيد ماهر.

اسمه: David Felix

وعنوانه: .12-Deven Shire St

فنظف الأسنان أولاً، ثم خلع السن، وحك السنين اللتين على جانبيها، وأعطاني احتياطاً لهذه الأسنان الثلاث سِنَّين تلبيساً، وللوسطى تركيباً، ولم يتم هذا في جلسة واحدة؛ بل في جلستين على الأقل.

وعندما ذهبت في العام (١٤٠٢) في الصيف إلى لندن مع الأسرة لم أدوّن عنوانه في المفكرة وإلا كنت ذهبت وتأكدت عما إذا كان لايزال في عيادته، في مكانها السابق، أما إن كان قد انتقل إلى مكان آخر، فبالإمكان الاستدلال عليه، وربما كانت فرصة لمراجعته حينئذ. وقد كان عندما راجعته لأول مرة حك أطراف الأسنان بطريقة متناسقة، فساوى بين رؤسها، وصار منظرها أحسن مما كانت عليه بالطبيعة. وقد بقي عمله الجيد هذا إلى أن كان ذات ليلة، بعد سنوات عديدة، وكنت

راكباً سيارة أجرة مشاركة مع رجل فاضل كبير السن من بيت «جمل الليل» في طريقنا إلى المدينة المنورة، وكنت ذاهباً إلى هناك لحضور اجتماع مجلس الجامعة الإسلامية، وكنت عضواً فيه، فأعطاني هذا السيد الفاضل حلاوة (توفي)، وهي من النوع الذي يلصق بالأسنان، وبعد أن مضغتها بعض الوقت أحست أن فيها شيئاً صلباً ظننته حجراً، وقد كسرته إلى كسرتين، وحينئذ فقط عرفت أن الحلوى اقتلعت السن المركبة، وقد ركبت السن الاحتياطية التي أعطاني إياها الدكتور، وهي لاتزال راكبة إلى الآن، وأصبحت الآن حذراً خاصة من نوع تلك الحلوى بالذات.

وقد مرت الأضراس والأسنان بأطباء أسنان متعددين، أولهم في مستشفى أرامكو في الثمانينات

وآخرهم في مستشفى الملك فيصل التخصصي. وكنا في مصر نذهب بتحويل من إدارة البعثة إلى الدكتور الفاضل أحمد موسى في السيدة زينب، وأصبح طبيب طلاب البعثة كلهم.

الأربعاء ١٨ مايو:

كنت أسير في الساعة الخامسة والربع عصراً على جسر (ويست منستر) Westminister، فوجدت عقداً على الأرض، فأخذته وسلمته لأقرب مركز شرطة، وقد لا يكون ذا قيمة كبيرة.

السبت ٤ يونيه:

في هذا اليوم في الساعة ٣،٣٠ شاهدت مسرحية في مسرح «كيو»، وأظن أن اسمها «آن» أو «أنّا».

الإثنين ٢٠ يونيه :

هذا اليوم كما سبق أن أشرت آخر يوم في الامتحان، وبمناسبة انتهائه فقد حجزت تذاكر لي ولأسرة «بل» لدخول فيلم صلاح الدين، أو لعلها تمثيلية، لا أتذكر الآن.

الخميس ٧ يوليه :

كنت قد عقدت العزم على الذهاب إلى فرنسا في هذا الصيف لتعلم اللغة الفرنسية، وقد سهل عليَّ هذا الأمر أن الدكتور محمد المعتصم المجذوب سبق أن سافر والتحق بأحد المعاهد هناك، والفرنسية هي اللغة الثانية التي اخترتها مع اللغة الإنجليزية، حسب متطلبات الدراسة.

دلّني الدكتور محمد المعتصم المجذوب على المعهد الذي سبق أن درس فيه في مدينة «تورز»، في مقاطعة «اللورين»، وهي على نهر هناك بهذا الاسم، وهي ليست بعيدة عن «بواتييه» التي سبق أن وصلها العرب في فتحهم للأندلس، ويقال إنهم وصلوا إلى «تورز».

سافرنا معاً أنا والدكتور محمد المعتصم اليوم ووصلنا إلى «تورز» يوم الجمعة، وكنا قد كاتبنا أسرة من أجل السكن عندها واسمها وعنوانها:

Mme Lestang
42, Rue Alfred de Vigny,
Tours, (Indre of Loire)

وتتكون هذه الأسرة من زوج وزوجته، وابنتين كبيرتين متزوجتين، ومن ابن وبنت صغيرين في حدود الإحدى عشرة سنة أو الاثنتي عشرة سنة. ويبدو أن

الرجل كان في حدود الخمسين من عمره، وزوجته تقاربه في السن، وكان الرجل قد أصيب في رجله أثناء الحرب.

والابنتان الكبريان ربما كانتا موظفتين، إحداهما على ما أذكر تعمل في حقل متصل بالطب، في مستوصف أو ما يماثله، وهما وزوجاهما يعيشون ويعملون في بلدة «تورز» نفسها، وهناك ما يدل على أن الزوجين، أو على الأقل أحدهما، يؤدي «خدمة العلم»، وتتعاقب الابنتان على خدمة والديهما، فكل واحدة تأتي يوماً لمساعدة والدتها في إعداد الغداء أو العشاء، وفي الغالب تجتمع الأسرة بأكملها للمشاركة في المساء في العشاء، وقد التحق في السكن معنا في أشهر الصيف شابان، أحدهما أيرلندي، والثاني من جزر «جِرْسي» في بحر

«المانش» بقرب أيرلندا، وكان الشابان قد قدما بهدف دراسة اللغة، ولكنهما لم يستفيدا كثيراً، لأنهما لم يكونا يعرفان شيئاً عن اللغة الفرنسية، ولم يعدا للدراسة إعداداً متكاملاً، وقد أنست بوجودهما، وقضيت معهما وقتاً طيباً في هذه البلدة الصغيرة، المحدودة الأطراف، البديعة الجو، المتنوعة التكوين، بساحلها الجميل. ولم يبقيا أكثر من شهر واحد، وكانا يتناولان الطعام معنا مع العائلة.

وأذكر قصة طريفة لهذين الشابين عند أول وجبة غداء أو لعله عشاء، فالفرنسيون عادة قبل الوجبة يحضرون من البقالة خبز «البقيت»، وهو خبز لذيذ لا يحتاج إلى إدام، ويمكن أكله جافاً، والتمتع بذلك، ولهذا هناك خطر عليه أن يأكله من يحضره قبل أن يصل

إلى البيت، وبعضهم يحسب لذلك حسابه، فيزيد من الأقراص حتى يضمن أن ما يصل إلى البيت يكون كافياً للأسرة كلها. ويشتري مع الخبز من يذهب لشرائه نبيذاً، يستعد له بزجاجة فارغة، يحضرها معه، لتملأ من برميل كبير في طول الإنسان تقريباً. والفرنسيون يشربون منه قليلاً يتذوقونه مصّات صغيرة أثناء الطعام. لم يكن الأيرلنديان يعرفان أصول شربه، ومع دفء الجو، والعطش، أخذا يعبّان منه عبّاً كأنه ماء، وأنا بالطبع لم أشرب منه، وكانت نتيجة هذا الإسراف في شربه أن أصيبا بإسهال شديد ألزمهما البيت في اليوم التالي، مما جعلهما لا يقتربان منه بعد ذلك مهما زاد بهما العطش. ولعل أصحاب البيت لم يريدا تنبيههما إلى خطر الشرب الكثير خوفاً من أن

يؤول هذا بأنه بخل منهما، ففضلوا أن يجعلوا التجربة تتكلم عن نفسها بأكثر من لسان!!.

ويبدو أن هذه الأسرة من أصل عريق راق، كما توحي بذلك تصرفاتهم، وصلة بعضهم ببعض، وبحسن التربية التي عليها الأولاد سواء الكبار أو الصغار. وليس غريباً على الفرنسيين أن تكون بين أفراد الأسرة روح دافئة كهذه خلافاً للإنجليز، فقد عرف عن الفرنسيين أنهم في عواطفهم، خاصة الأسرية، مثل العرب، ويدل على رقي هذه الأسرة كذلك البيت الذي يسكنونه، بحجمه، ورحابة أفنائه، يضاف إلى ذلك بيت في الريف قريب من «تورز»، نذهب إليه في أغلب أيام نهاية الأسبوع، نقضي فيه النهار، ونعود في الليل بسيارة الأسرة. ويبدو أن الحرب وتطور الحياة بعدها

في فرنسا، بل في أوروبا كلها، لمست هذه الأسرة بجناح التأثير هذا، فاحتاجت إلى أن ترفد دخلها بالاستفادة من تأجير الغرف الزائدة عندها في البيت، فقبلت أن تُسَكِّن مستأجرين، ورغم مستواهم الراقي، وأدبهم الجم، إلا أنه يبدو أن ثقافتهم محدودة، وكان بودنا أن ندخل إلى كنههم، ونعرف عنهم أكثر مما ظهر لنا، إلا أن لغتنا لم تساعد على ذلك، وبقي هذا حاجزاً عائقاً لما كنا نطمح إليه. ولكنه لم يغب عني تحليهم بالأدب، وحسن الخلق، والتهذيب، وهذا ما جعلهم يتغاضون عن تصرفات الشابين الأيرلنديين الخشنة، والأقرب إلى البدائية التي لا يصبر عليها إلا أهلوهم، وكانت نظرتهم إليها أقرب إلى الدراسة، ومعرفة طبائع الشعوب. وكانت صلتي بالأسرة تختلف، فقد كنت

قريباً منهم في طباعهم، أراعي الأصول التي يحرصون على السير في ضوئها، وقد لاحظت زيادة في العطف عليَّ، وتقربي منهم بعد أن سافر الزميلان الآخران، وقد توثقت صلتي بالابن والابنة الصغيرين، وكانا يتصرفان معي وكأني أخ كبير لهما، ويأنسان إليَّ، ويتحريان إعطائي ما يفيدني لغوياً، وكان هذا يبهج والديهما، ولم يكن حظي مع كلب الأسرة المدلل أقل من حظي مع الصغيرين، فكان يختار أحياناً أن يربض بجانبي، وينظر إليّ فيما أبديه من حركة يظنها تمهيداً لقيامي وسيري ليسير معي، مما يجعلهم سعداء لأنه حتى الكلب يعدني من الأسرة!!

وكما قلت، بجانب بيتهم الذي في وسط تورز، هناك بيت آخر لهم في الريف، يبعد عن «تورز» ما

يقرب من ربع ساعة بالسيارة، والطريق إليه يباري شاطئ النهر، وجزء منه منحوت في الجبل، فغرفه بأكملها منحوتة في الجبل، وأخرى نصفها منحوت والنصف الآخر مبني بيد الإنسان بناءً حديثاً. ولم نبدأ الذهاب إلى هذا البيت إلا بعد أن اشتد الحر، وبعد أن سافر الشابان اللذان كانا يسكنان معنا، وكما قلت نذهب بالسيارة، ونبقى هناك إلى ما قبل وقت النوم.

أما صفة البيت الرئيس الذي في «تورز» فهو بيت غير صغير مكون من طابقين، وعلى شارعين، وله حديقة غير صغيرة، وله ملحق كبير، ومرآب للسيارة.

وعندما وصلت «تورز» كانت لغتي الفرنسية محدودة، وهي لغة الكتب، والقراءة أسهل من الحديث، فيحدث أحياناً، خاصة أول ما وصلت،

ألا يكون على الغداء إلا السيدة وأنا، فتحاول هي أن تكون لطيفة معي واجتماعية، فتختار الحديث عن شيء مناسب، وأنا لا أفهم ما تقول إلا بعض كلمات متناثرة، ولأثبت أني مستمع جيد كنت أختار مقطعاً في الكلام تقف عنده السيدة عن الحديث فأقول، نعم، نعم. وقد رأيت أن هذا نمط مملّ لرتابته فاخترت عند أحد المقاطع مرتين أو ثلاثاً أن أقول: «لا» فيما ظننت أن «لا» مناسبة. فقلت: «لا»، ويبدو أن اختياري لم يكن مبنياً على ملاحظة جيدة على نغمة الجملة، فأدركت هي أني لم أتقن الاستماع، فأبدت ملاحظتها، وقالت: أنت تقول للشيء نفسه مرة نعم ومرة لا، فعرفتُ حينئذ أني قد أخفقت في «تذاكِيَّ»، وأني قد أُكتُشِفْت!!

لقد قضيت وقتاً جميلاً في «تورز» في هذا البيت المريح، في نومي، وفي غذائي، وفي جلوسي مع أفراد الأسرة. وكلما مرّ الوقت ازددت احتراماً لها، بسبب اللحمة القوية بين أفرادها، مما لا يفتأ يثير المقارنة في ذهني بينها وبين الأسر الإنجليزية التي عرفتها و سكنت معها، خاصة تلك السيدة التي لم تر والدتها لأكثر من خمسة عشر عاماً، وهي لا تبعد عنها أكثر من ثلاثين ميلاً بالقطار!.

التحقت بالمعهد بمجرد أن وصلت، وأخذت أمر الدراسة بجد ومثابرة، وحرصت على الاستفادة ما أمكنني ذلك، وقد شعرت أني وفقت في اختيار هذا المعهد في هذه البلدة الجميلة، وهذا المعهد فتح خصيصاً لمساعدة الطلاب الأجانب في تعلم اللغة الفرنسية،

كانت المدرّسة التي تدرسنا امرأة كبيرة السن اسمها Mme Le Mere، وكلمة «لومير» تعني «البحر» على ما قيل لنا عندما التحقنا، وكانت «مدام لومير» هذه امرأة مرحة، ولها حركات طريفة، ولها مداعبات مع بعض الطلاب أو الطالبات، وكانت خفيفة الظل، خاصة وأنها لا تثقل على الطلاب بالواجبات، تتعب مع الجاد المجتهد، وتتراخى وتتساهل مع غير الجاد، وما أكثرهم، وهي تدرك هذا، وترى ذلك بعينيها، فكل طلابها كبار السن، فهم إما طلاب جامعة، أو أعلى منهم سنّاً، وهم من جنسيات مختلفة، وطبائع متباينة، وأذواق متعددة، فيهم السويدي، والنرويجي، والإيطالي، والأسباني.

كان يجلس بجانبي في الفصل في المعهد قسيس

إيطالي، وكان رجلاً طريفاً مرحاً، لولا لباسه لقلت ممثلاً هزلياً، وكان من حظي أنه يجلس بجانبي لكثرة تعليقاته، وطرافتها. كان كثير الهزل والمداعبة، لا تفوته فرصة في هذا المجال إلا وانتهزها، وأذكر من مداعباته أنه نزل حديثاً إلى بعض أسواق المدن الكبرى بطاقة «كرت» تهنئة في داخله «صافرة»، صممت تصميماً دقيقاً، لا ترى فيه الصافرة، ولكن المرء إذا ضغط على البطاقة «الكرت» أحدثت الصافرة صوتاً عالياً مزعجاً يشبه صوت البطة المرسومة على غلاف البطاقة «الكرت». فأحضر القسيس هذا الكرت ووضعه تحت لباسه على صدره، فإذا ضغطه صوّت دون أن يُعرف مصدر الصوت، ولنا أن نتصور الوجوه وقد استدارت تبحث عن مصدر الصوت، وتبحث عن

البطة، وقد جرب هذه المداعبة على السيدة «لومير»، فكان موقفاً طريفاً ومربكاً.

وكنت في «تورز» أقضي أوقات الفراغ مع الدكتور المعتصم الذي سكن مع أسرة أخرى سكن معها أخي حمد فيما بعد، بعد سنوات. وكنت ألتقي أنا والدكتور المعتصم للنزهة أو للجلوس في مقهىً هناك، وهذا المقهى كان مسلياً لكثرة من يرتادونه، وتنوع زبائنه. وكثيراً ما نذهب إلى حديقة البلدة، وهي حديقة عامة، وجميلة جداً بما فيها من أشجار وزهور، وبما فيها من بحيرات ومياه، وفيها فرقة موسيقية تعزف في أوقات معينة خاصة أيام الآحاد من كل أسبوع.

وفي هذه المنطقة، وعلى امتداد شاطئ النهر تمتد سلسلة من القصور القديمة، التي أصبحت اليوم قبلة

الزوار، وهدف السياح، يؤمونها من كل أنحاء العالم، لشهرتها وجمالها وعراقتها، وتضاء بالليل، ليكون لها جاذبية إضافية. ويُرتب للسياح الذين يأتون إلى هذه المنطقة رحلات بحرية ممتعة، ورحلات برية جميلة، ومن هذه المنطقة ينطلق الراغب للذهاب إلى الجنوب.

كنت قد واعدت «أنِك»، الشابة الفرنسية التي كانت معنا في لندن، وتحدثتُ عنها بإسهاب من قبل، أن أزورها وأسرتها في رحلتي هذه إلى فرنسا، وكانوا في هذا الوقت يصيفون في مدينة «تانت»، وهي قريبة من شاطئ البحر، فذهبت إليها بالقطار، وهي على مسافة غير قصيرة من «تورز»، وبعد أن وصلتها اتصلت بهم، فجاءت أختها وأخذتني إلى حيث يسكنون،

ولم أجد لا «أنك» ولا أهلها، وليس في البيت إلا هذه الأخت الأصغر منها وإخوان صغار، وهذه الأخت هي التي جاءت وأخذتني من المحطة، وفهمت منها أن «أنك» قد سافرت، فلم أجد أن من المناسب أن أبقى عندهم، فعدت من الشاطئ إلى «تانت»، ونمت في فندق فيها حتى الصباح، ثم ركبت القطار عائداً إلى «تورز».

ورغم أن الهدف الأساس من هذه الرحلة لم يتحقق، وأن الرحلة كانت مضنية بحق، خاصة بسبب اللغة التي لم أكن أتقنها، وقليل من الفرنسيين يرتاح من المحادثة باللغة الإنجليزية، إلا أن الرحلة كانت من الجوانب الأخرى ممتعة، فكان هناك لوحات لعرض جوانب مظاهر الطبيعة من جبال ومياه ومروج، وما

يمر به القطار من مزارع، وما فيها من حيوان ونبات، خضاراً وفواكه، وأشجاراً باسقات، لها طلع نضيد، وعموماً لقد رأيت الجمال الريفي الفرنسي الجنوبي بأبهى صوره، فالمناظر بديعة، والطبيعة بتنوعها خلابة. وكان الوقت وقت استواء الثمار، وأذكر أني رأيت ما لا يحصى من المزارع التي استنبتت «القرع» الذي يلفت النظر بكبر حجمه، وصفاء لونه، وما أضفاه من جمال على إطاره الأخضر، بصفاره الفاقع.

ومن المشاكل التي واجهتني في رحلة القطار هذه أمر الأكل و «السندويتشات» التي يمكن أن يطلبها الراكب، وكنت دائماً حذراً مما فيه لحم خنزير، ولم أتنبه لهذا، فلم أحفظ كلمة خنزير، ولهذا قضيت الرحلة دونما أن آكل شيئاً، وفضلت الجوع على المخاطرة في

أكل لحم الخنزير، ويبدو أنه لم يكن هناك حلويات يمكن أن يكتفي بها من هو في مثل موقفي، لأن الشيكولاته لم تنتشر بعد الحرب في بعض المناطق.

الاستعداد للعودة:

لقد تركت «تورز» يوم الخميس ٢٢ سبتمبر إلى باريس، وفي نيتي أن أبقى فيها عدة أيام لمراجعة بعض المصادر في المكتبة الوطنية هناك، وقد سكنت في فندق صغير، اسمه وعنوانه:

Hotel Trainon
7 Bis, Rue L'Eloile
Paris 170

وكانت السيدة «بل» قد أوصتني أن أحضر لها فواكه مثلجة، وهي فواكه محلاة ومصبرة بطريقة، اشتهرت بها فرنسا في ذلك الوقت، فإن لم تكن قد أوصتني

فلعلي كنت أعرف أنها تحبها، لهذا حرصت على أن تكون هديتي للأسرة عند عودتي هذه الفواكه.

وفي يوم الجمعة، وهو اليوم التالي لوصولي ذهبت للمكتبة الوطنية، وهي قريبة من الفندق الذي سكنت فيه، ولعله الفندق نفسه الذي سبق أن سكنت فيه في رحلاتي السابقة، وإصراري على اختياره دون غيره لقربه من المكتبة الوطنية، التي كانت دائماً هدفي الأول في رحلاتي إلى باريس.

وكانت أسرة آل «بل» في إجازة صيفية، رتبوها على ألا يعودوا إلا في أول يوم من أكتوبر، وكانت إجازتهم في العنوان الآتي:

3, Church Hill,
Port Isac, North Cornwell

وقد رتبت سفري عندما عزمت على السفر إلى «تورز» ألا أعود إلى السكن معهم، إذ قررت أن أسكن داخل لندن، لأني وجدت أني أضيع وقتاً غير قصير في الذهاب من مسكنهم إلى لندن، ومن لندن إلى مسكنهم، وقد وجدت سكناً في «بنسيون» في العنوان الآتي:

14, Pembridge Gardens

وانتقلت إليه يوم الإثنين ٣ أكتوبر، ودفعت جنيهين ونصفاً لبقية الأسبوع إلى يوم السبت، وهو موعد دفع الأجرة كاملة لمدة الأسبوع، والأجرة لا تزيد عن خمسة جنيهات، ويدخل فيها السكن ووجبة الإفطار فقط.

الخميس ٦ أكتوبر :

(استقريت) في هذا المسكن، وبدأت الدراسة، وقابلت الأستاذ «هرولد باون»، وهو الأستاذ الذي سيحل محل البروفيسور لويس، الذي سافر إلى أمريكا، مدة غيابه. وقد اتفقنا على أن تكون المقابلة بعد أسبوعين. وسبق أن أشرت إلى أني كثيراً ما كنت أعرض عليه ما أكتبه في بيته، وكان ذلك يتم على شاهي بعد العصر المشهور في العادات الإنجليزية.

بدأت أتلمس طريقي إلى المراجع، وكان أهم شيء عندي الاطلاع على ما سبق أن كتب عن الظاهر بيبرس، خاصة ما كتبته السيدة فاطمة صادق، وهي سيدة باكستانية، وكتبت عن بيبرس رسالتها للدكتوراه عن جزء من كتاب محيي الدين بن عبدالظاهر، كاتب سيرة

بيبرس، وقد حققت السيدة فاطمة صادق هذا الجزء الذي لم يتوافر لها غيره، وترجمته، وكتبت له مقدمة.

الذهاب إلى كيمبرج:

قيّدت في المذكرة يوم الجمعة ٧ أكتوبر مواعيد القطارات إلى كيمبرج، والرحلة إلى كيمبرج هدفها زيارة الأخ صالح بابصيل، زميلنا في الشقة المحذوفة في مصر، وقد جاء لتحسين لغته الإنجليزية، وكان قد التحق بالعمل في شركة «أرامكو»، وقد دونت في المفكرة أن الأخ صالح يوجد في البيت غالباً من الخامسة إلى الثامنة، ويوم السبت يوجد إلى الساعة الثانية عشرة ظهراً.

لا أنسى شكل صالح في فصل الشتاء في كيمبرج،

وعليه «البالطو» الشتوي ذو البُرنس الذي يغطي الرأس عن المطر والبرد والجليد، وصورته هذه لاتزال عالقة في ذهني.

قيدت في هذا الأسبوع أني سددت للأخ العزيز حسن رضوان مبلغ ٢٢ جنيهاً، وهي مقابل مصاريف دراستي في الجامعة عندما كنت في فرنسا، وطلبت منه تسديدها، وقد فعل - جزاه الله خيراً -.

الجمعة ٧ أكتوبر :

لعل هذا اليوم هو أول يوم وصل فيه الدكتور يوسف عزالدين من العراق لدراسة الدكتوراه، وقد قيدت في هذا اليوم عنوانه:

46, Clanve Caredge Garden
Flat 3, Tel: 4234

والدكتور يوسف عندما جاء ليحضر لدرجة الدكتوراه جاء وهو متمكن من اللغة العربية، فقد كان مدرساً وأديباً وشاعراً مرموقاً، وقد التحق بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية معنا في جامعة لندن.

لقد قضينا معاً، معه ومع بعض الإخوان العرب، أوقاتاً جميلة في السنوات التي تزاملنا فيها، وكنا دائماً نلتقي في الكلية في قاعة الجلوس، ومعنا أحياناً ـ مع حفظ الألقاب ـ محمد المبارك، نبيه عاقل، وعبدالكريم رافق، ومحمد ابراهيم الشوش، وسيد عثمان أحمد، والطيب صالح، ويوسف فضل، ومحمد صالح نور رحمهم الله وبقية الزملاء الذين يحضرون لدرجة الدكتوراه، مثل الدكتور كمال بشر، ومحمود السمرة، ومحمد الجرح، وشاكر خصباك، وعبدالجبار المطلبي.



مع الأخ الشيخ محمد المبارك الخليفة،
وقد جاءت عليها صورة أخرى أضاعت أسفل الصورة



في الخلف: نبيه عاقل، عبدالعزيز الخويطر. في الأمام: محمد السعدني، محمد المبارك الخليفة



صورة أخرى من اليمين: محمد السعدني، نبيه عاقل،
عبدالعزيز الخويطر، محمد المبارك الخليفة



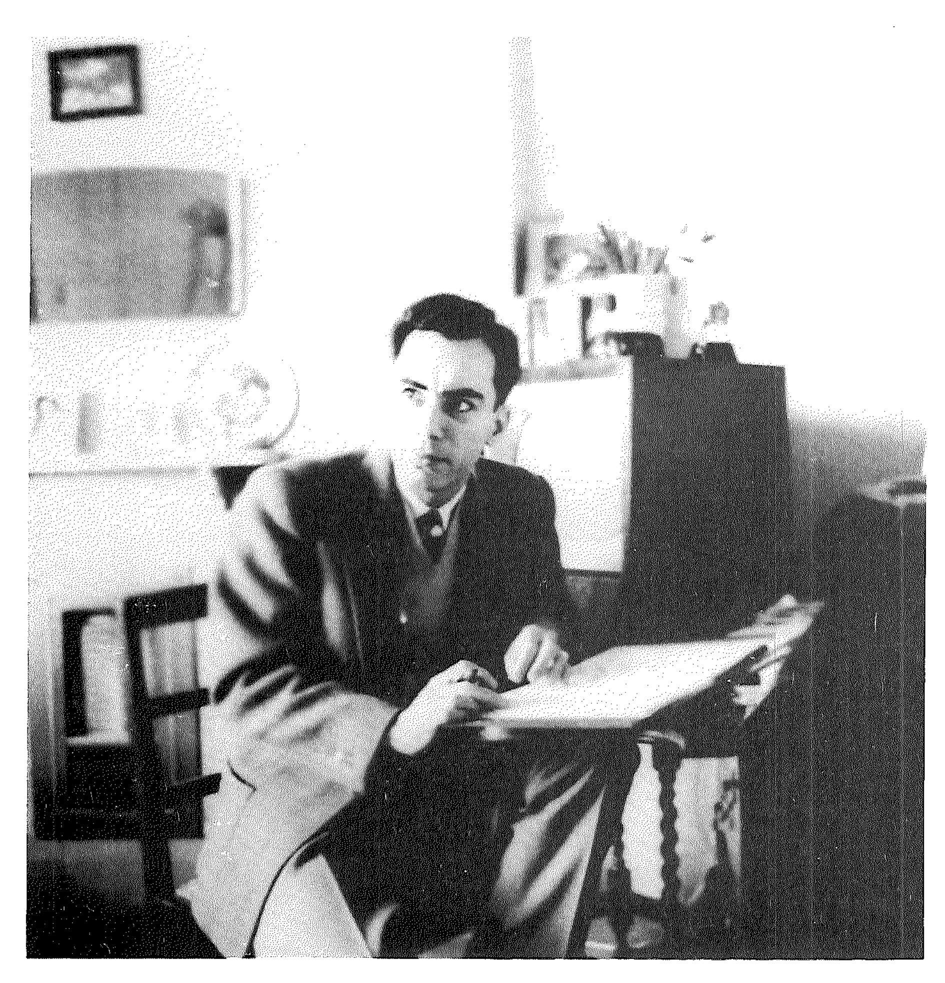
مع الزملاء. في الخلف: ماكس كورت بيتر، عبدالعزيز الخويطر، محمد المبارك الخليفة
في المقدمة: أحمد أبو حاكمه وأحد الزملاء



في شقتي مع الزميل عبدالكريم رافق من سوريا يدرس للدكتوراه



الأستاذ عبدالكريم رافق معي في شقتي



الدكتور محمود السمرة عندما كان يدرس للدكتوراه
أخذت في شقتي في عام ١٩٥٨م

كنا نسكن أنا ويوسف عزالدين في حي واحد، ولهذا كنا نتزاور كثيراً، ونطبخ وجبات الأكل أحياناً إما عندي أو عنده، وكثيراً ما كنا نذهب معاً، في أواخر الأسبوع، إلى حديقة «هايدبارك»، وهي قريبة جداً منا، وبيت يوسف يطل عليها.

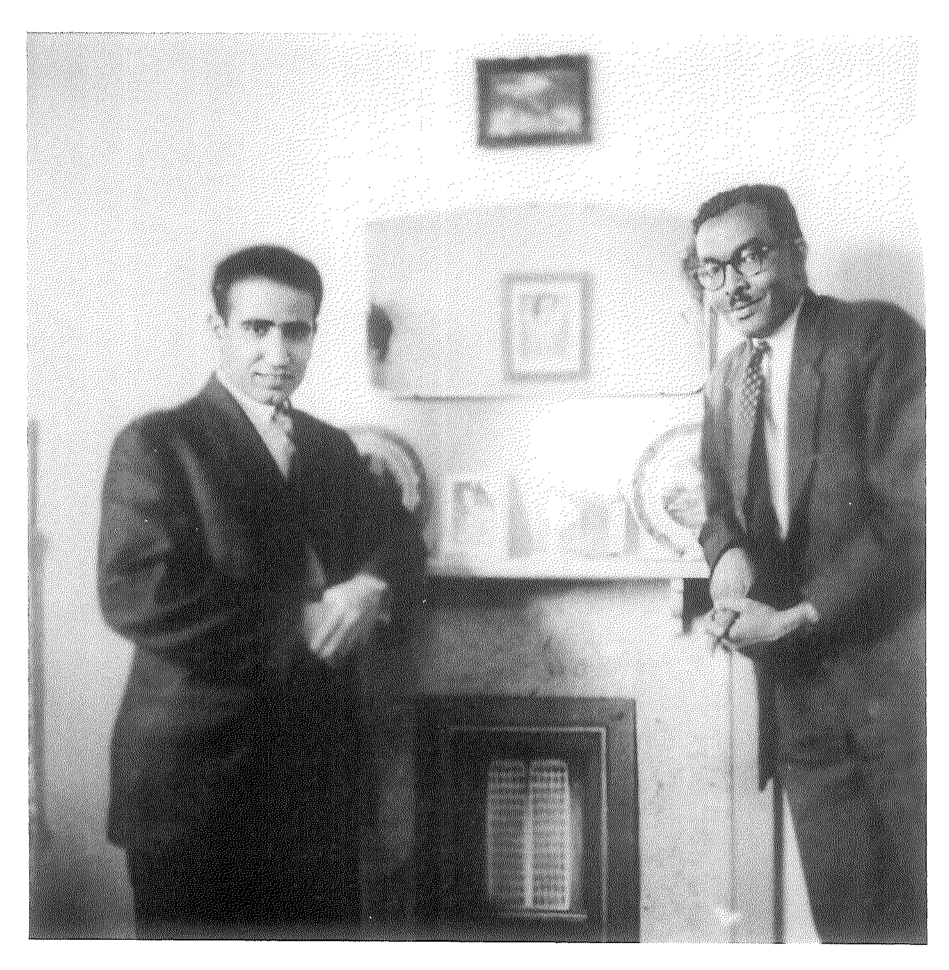
وبقيت الصلة بيننا رغم ما مرّ من ظروف سياسية على العراق، وكنت أتابع نشاطه الأدبي في كتاباته في مقالاته وأشعاره وكتبه العلمية ومحاضراته خارج العراق، ودواوينه. وقد سعدنا بمجيئه أستاذاً في جامعة الملك سعود لمدة أكثر من سنتين، وكان في الرياض يسكن في الحي الذي أسكنه مما سهل أمر التزاور بيننا.

الجمعة ٢١ أكتوبر :

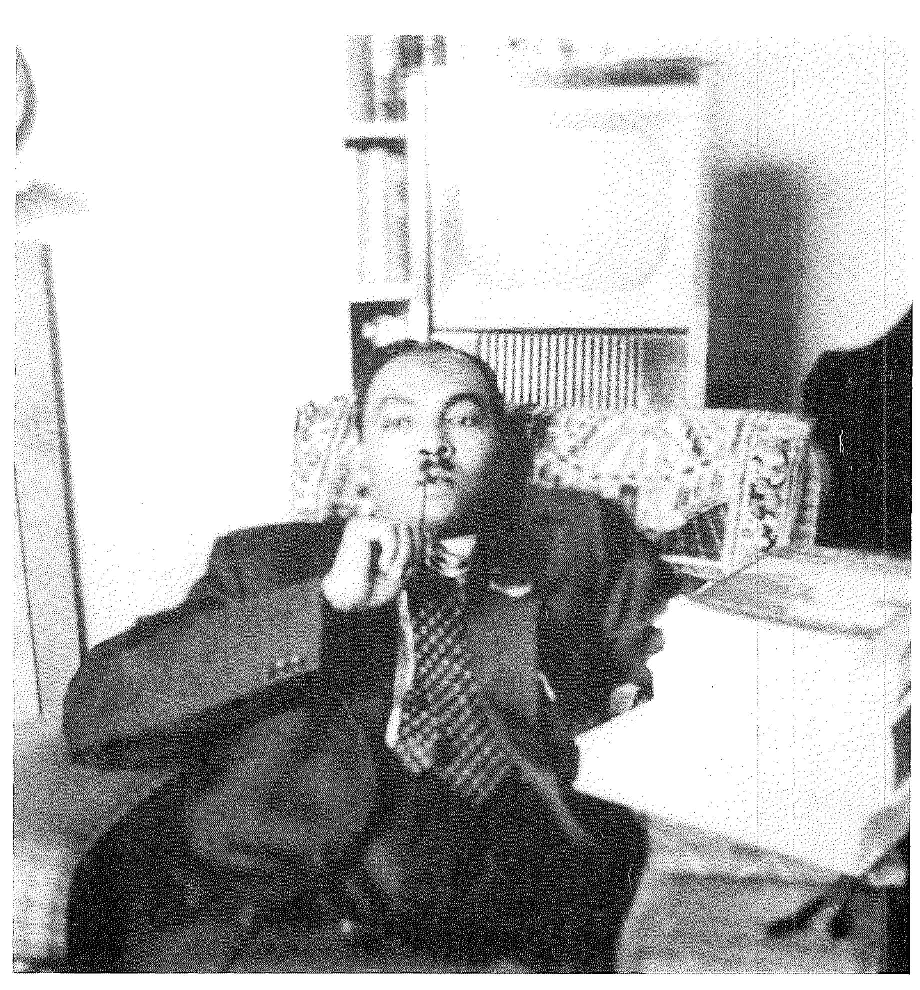
هذا اليوم يوافق الخامس من ربيع الأول عام ١٣٧٥هـ ولم أتسلم حتى الآن مخصصات الكتب والملابس ومصروفات الدراسة لعام ١٣٧٤هـ. وهذا أمر مقلق لي، لأني قد صرفت في رحلتي لفرنسا ما يقرب من مئة جنيه، وهذا مبلغ كبير يهز ميزانيتي. ومن المؤكد أني سوف أبذل جهداً لصرف هذه المخصصات.

محمد صالح نور :

هذا طالب سوداني مكافح، ورب أسرة، فمعه زوجته وابنه أبوبكر، وكان قد التحق بالكلية قبلنا، يدرس التاريخ لمرحلة البكالوريوس، وكانت لغته الإنجليزية جيدة جداً، وكان مثالاً للطالب الجاد،



مع الأستاذ صالح نور من السودان، الذي يدرس الدكتوراه في التاريخ



الأخ صالح نور من السودان، ومعه أسرته في لندن إبان دراسته للدكتوراه في التاريخ

وعلمه وذكاؤه ولغته مما ساعده على جودة التحصيل، ولم يكن يعوق سيره إلا ضعف صحته، فقد كان مريضاً بالصدر، وأدخل المستشفى أكثر من مرة، ولولا هذا العائق لواصل بحثه لدرجة الدكتوراه، ولكنه اضطر للعودة إلى السودان، ودرّس هناك، وتوفاه الله بعد فترة من عودته ـ رحمه الله بواسع رحمته ـ.

شهر نوفمبر:

وصل في أوائل هذا الشهر الأخ سالم عطاس، وهو زميل لنا في البعثة، وصديق حميم للأخ الأستاذ عبدالعزيز القريشي، وقد وصل على شركة الطيران KLM، واستقبلناه في مكتب الشركة في لندن، وقد فوجئنا برؤيته لابساً برنيطة وهو ينزل من حافلة الشركة، لأن هناك من نصحه في مصر بلبسها خوفاً على رأسه من

البرد، ولم يكن للبسها داع في الحقيقة، وأصبح منظره بها لافتاً للنظر، وقد تركها بمجرد وصوله.

السبت ١٢ نوفمبر:

صاحبة البيت الذي سكنته مؤخراً بعد عودتي من فرنسا Mrs Price، وهي صيغة إنجليزية لاسم بولندي معقد، ليس من السهل نطقه، والمرأة إنجليزية وزوجها بولندي من الوافدين إلى انجلترا هرباً من الاضطهاد الروسي في بلادهم، وكانت هذه السيدة شابة في حدود ثلاثين سنة من العمر، وهي طيبة مع السكان، ولم نر منها ما يزعج. وقد دفعت لها في هذا اليوم أربعة جنيهات أجرة الغرفة التي أسكنها وهي أجرة أسبوع تدفع أسبوعياً، ومادام الأمر كذلك فالإنذار للخروج عند الرغبة للانتقال إلى سكن آخر

يُعطَى قبل أسبوع من الخروج.

والغرفة التي سكنتها واسعة جداً، وفي الطابق الأرضي، تطل على الجهة الخلفية للعمارة، وهي قريبة من الحمام المشترك لهذا الطابق، وفيها حوض لغسيل الأيدي وهذا مهم ومريح عند عمل الشاي أو تغسيل أوعية الطبخ؛ وفيها دفاية كهربائية بعدّاد، وكذلك الماء الساخن بعدّاد، وهي على بُعد خطوات من غرفة الطعام، الذي نتناول فيه الإفطار لمن اشترط الإفطار، وهي كذلك قريبة من التليفون الذي في المدخل، والبيت بجوار محطة قطار ما تحت الأرض (الأندرقراوند) لمنطقة (نُتنج هِلْ جيت)، القريبة من السفارة، ومن «هولاند بارك»، ومن «هايد بارك».

الإثنين ١٤ نوفمبر :

ذهبت في هذا اليوم إلى مدينة «برود ستيرز» Broad Stairs في منطقة «مورجيت»، وبقيت فيها إلى يوم الأربعاء ١٦ نوفمبر.

في هذا الأسبوع كنت أشعر بألم في أسفل البطن، فراجعت الطبيب، فرأى أن آخذ أشعة للكلى، وأذكر أنه نبهني ألا آكل شيئاً منذ الليلة التي تسبق أخذ الأشعة، وهي ليلة الخميس ١٧ نوفمبر. وتابعت مراجعة الطبيب لتحليل الدم، وأعطاني بعض الحبوب، ولعلها كانت مهدئة، وتساعد على استرخاء العضلات أسفل البطن، إذ أنه أخبرني في النهاية أنه لا مرض عندي؛ وإنما هي تشنجات في العضلات نتيجة الهم الذي لابد أن أتخلص منه، وأتغلب عليه، واقترح عليَّ أن أبتعد

بعض الوقت عن لندن وصخبها لمدة أسبوعين مثلاً.

في هذا الأسبوع ذهبت إلى الطبيب مع شخص قدم من المملكة اسمه لافي بن حريثان، جاء للعلاج من آلام تبين أنها بسبب حصوة في الكلية، وقد استخرجت، وكانت هذه الحصوة بطول ثلاثة سنتيمترات على ما فهمت وبثخانة القلم، وقد شفي وعاد إلى المملكة.

البروفيسور مصطفى أقطاغ:

هذا أستاذ جامعي تركي، له معرفة وطيدة مع البروفيسور «برنارد لويس»، وقد جاء الأستاذ أقطاغ إلى لندن لفترة قصيرة، ولعله جاء ليحصل على زمالة أو ما إليها، ولتحسين لغته الإنجليزية، وكان أستاذاً في التاريخ التركي. وزادت علاقتي به متانة عندما صار يأتي إلى ناد قريب من البيت الذي أسكنه، وهو ناد أتردد عليه وقت فراغي.

الأحد ٢٠ نوفمبر :

لا أزال أذهب إلى المعهد البريطاني، ولم أنقطع، لأن فيه برامج متنوعة كلها تصب في التقوية في اللغة الإنجليزية، ومن هذا التنوع أنهم كانوا يعرضون أفلاماً قديمة «كلاسيكية»، وفي هذا اليوم بالذات عرضوا فيلم «اللمبة الزرقاء» The Blue Lamp، وكان وقت العرض من الساعة الثامنة مساء حتى التاسعة والنصف. ويوم الأحد في الأسبوع التالي عُرض فيلم «أهمية أن تكون من طبقة النبلاء»:

The Importance of Being Earnest .

الثلاثاء ٢٩ نوفمبر :

لا تزال الصلة بالأخ عبدالكريم الذكير قوية ومتصلة، ولا يزال موجوداً في لندن في هذه الأيام،

وبيننا موعد اليوم، وسوف نتقابل، وقد تقابلنا فعلاً.

والأخ أحمد السليمان الذكير كذلك يزور لندن في هذه الأيام، وسوف أقابله يوم الخميس القادم إذ بيننا موعد في بيته.

وقد ورد اسم الأستاذ كمال بشر في المفكرة في هذا الأسبوع، وهو من طلاب كلية الدراسات الشرقية والأفريقية، ومن خريجي دار العلوم في مصر.

وقد ورد اسم الأخ أحمد الهوشان في مفكرة هذا الأسبوع، وسوف أعطي هنا نبذة عنه عندما كان في لندن، وقبل أن يصير رجل أعمال في الرياض.

أحمد الهوشان :

جاء الأخ أحمد إلى لندن لدراسة اللغة، ولم أكن

أعرفه من قبل، وإنما أعرف أخاه الأكبر محمد عندما كان عضواً في البعثة في مصر، وكان يدرس القانون في كلية الحقوق في جامعة الملك فؤاد في القاهرة، وأذكر أنه فضّل في دار البعثة في الدقي أن يسكن في الغرفة المخصصة مطبخاً في الشقة، عن أن يسكن في غرفة من الغرف المعتادة، التي لو سكن واحدة منها لسكن معه واحد أو اثنان من الطلاب، لهذا صبر على ضيقها مقابل ضمانه أن يكون بمفرده حراً يصحو متى شاء وينام متى شاء، دون أن ينغص عليه أحد نومه أو مذاكرته.

ويبدو أن أسرة الهوشان من إحدى بلدان القصيم، ولكن والدهما انتقل إلى المدينة المنورة وعمل بها، وهناك درس أبناؤه وتعلموا، ولهما أخ أصغر منهما هو

عامر، وقد زارنا في مصر، وكان صغير السن عندما زارها، وكانت مدة زيارته قصيرة، وأذكر أنه جاء إلى مصر بصحبة خاله محمد العامر، وقد عادا إلى المملكة بعد هذه الزيارة القصيرة.

قد يكون مجيء الأخ أحمد الهوشان إلى لندن بتأثير من خاله محمد العامر، وقد التحق في فترة من الفترات بمدرسة «البوليتكنك»، وبقي فيها، ولعله تخرج منها، ولاشك أنه استفاد منها علماً ولغة. ورغم أن صلتي به وثيقة إلا أني لم أدون كثيراً عن دراسته. وهو رجل اجتماعي وشهم، ونبيل، ويحب مساعدة الآخرين، خاصة أولئك الذين يأتون إلى لندن ولغتهم الإنجليزية ضعيفة، أو لا يعرفون شيئاً منها البتة. وكان لفترة غير قصيرة يدرس على حسابه الخاص،

إلا أني أظنه أُلحق فيها بعد بالبعثة الرسمية للحكومة. وقد عاد إلى المملكة وكافح وصبر حتى أصبح من رجال الأعمال البارزين، زاده الله توفيقاً، فهو يستحق أن يُدعى له.

كنت على اتصال وأنا بلندن بالأخ أحمد ولا يكاد يمر أسبوع دون أن أراه، فأحياناً أزوره في سكنه، وأحياناً يزورني، وكنا أحياناً نتواعد في مقهى معين، أو مطعم محدد، وأحياناً نذهب في رحلة خارج لندن، إما «برايتن» أو غيرها مما هو أبعد، وأحياناً معنا آخرون من الإخوان الزائرين للندن، ومن بين هؤلاء الأخ محمد السويلم.

والأخ أحمد رجل اجتماعي، وصاحب فزعة عند اللزوم، ولا أنسى موقفاً نبيلاً له معي، فقد احتجته

في ساعة عسرة، فأنجدني - جزاه الله خيراً - ولا أزال أذكر له هذه المنّة، وسوف أتكلم عن هذا العارض الصحي الذي تعرضت له، وكان نعم المعين. والعارض هو أني وقعت في الحمام على أثر إغماءة بعد إجهاد، فتأثر ظهري، ولم يتبين الأمر إلا في اليوم التالي، ولما وجدت أني لا أستطيع أن أخدم نفسي في ارتداء ملابسي، والبحث عن وسيلة مواصلات مناسبة جاء فساعدني على كل ذلك، فأنا إلى هذا اليوم لا أنسى له هذا الجميل.

وتفصيل هذا الحادث سوف يرد - إن شاء الله - في الجزء العاشر من هذه الذكريات في يوم الثلاثاء التاسع من سبتمبر عام ١٩٥٧م.



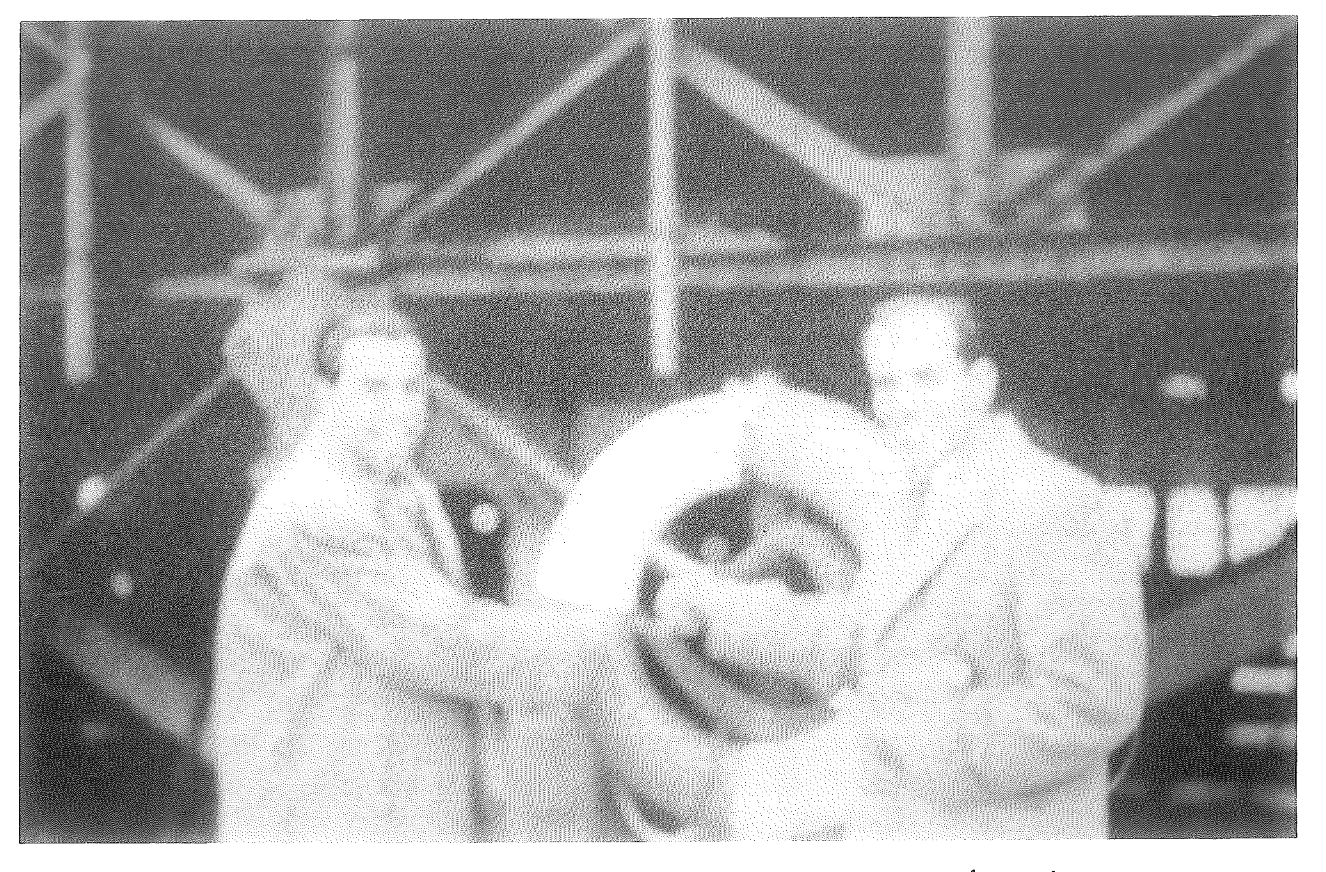
مع الأخوين أحمد الهوشان عن يساري،
وعبدالخالق قاضي عن يميني عام ١٩٥٨م



الأخ أحمد الهوشان مع الأخ عبدالخالق قاضي في لقطة فكهه في عام ١٩٥٨م



لقطة فكهه للأخ أحمد الهوشان وهو يجهز عليَّ على جسر لندن أمام معرض صور هناك



صورة للأخوين أحمد الهوشان إلى اليمين ومحمد السويلم في باخرة قامت من لندن إلى بورتموث

الأحد ١٨ ديسمبر :

في هذا اليوم من الساعة السادسة حتى الساعة السابعة ذهبت إلى المعهد البريطاني، وشاهدت هناك فيلم الأسبوع، وهو كالمعتاد أحد الأفلام المأخوذة من قصص قديمة «كلاسيكية» كقصص «شارلز ديكنز» وكان اسم الفيلم The Holly and the Ivy.

من النظرة العامة للمفكرة أجد أن حماسي للذهاب للسينما قد فتر فتوراً واضحاً، وأكاد أقتصر على الذهاب إلى رؤية الأفلام المبنية على روايات قديمة، وقصص «كلاسيكية»، ولعل السبب أن هذه الأفلام فيها تركيز، وفيها اعتناء، ولغتها راقية، وليست للتجارة والعبث وجذب المشاهد بأي طريقة. ولهذا ركزت على الأفلام التي يعرضها المعهد البريطاني.

بيت شعر :

أعجبني بيت شعر عن لغز موهم، فنقلته في نهاية المفكرة، حفاظاً عليه، وتسهيلاً لي في الرجوع إليه، وهو في وصف «الشيشة»:

ولابسة من الياقوت تاجاً
تقهقه كلما قَبَّلت فاها

وهو كما نرى يوهم بأن هناك من يقبّل امرأة في فِيْهَا، فتضحك من تكرار القُبل، وقد سُبك بصورة ذكية، أبعدت الحدس، وأوجبت اللبس.

وأذكر بهذه المناسبة ولعي في وقت من الأوقات بحفظ الأبيات الملغزة إلى شيء خفي، ويبدو أن هذا اتجاه طبعي للإنسان، وبالذات في مرحلة من مراحل نموه، أو لعل بعض ظروف الحياة في المجتمع توجبها،

فيصبح المرء ميالاً إلى الرياضة الفكرية. وأذكر الآن بيتين فيهما إلغاز عن عود الطرب هما:

وكأنه في حجرها ولدٌ لها
تحنو عليه عند كل أوان

أبداً تُدغدغ بطنه فإذا هفا
عركت له أُذناً من الآذان

وأقول إن هذا اتجاه طبعي لأني رأيت الصغار يميلون إليه، ويرون فيه متعة، لعل مأتاها رؤية الحيرة لدى من يوجهون له اللغز، وقد يكون أكبر منهم سناً وعلماً، فيشعرون أنهم ارتفعوا وأنزلوه. وقد رأيت شغف ابني بتقليد من يلقون الألغاز وهو في السابعة من عمره، يحاول أن يأتي بألغاز يعدها بنفسه بطريقة ساذجة، هي أقرب إلى وصف الشيء تفصيلاً، مما لا

يحير السامع، بل أحياناً تخونه عينه وهو ينظر إليه، فيلغز أحياناً عن الكرسي بأنه شيء له أربع أرجل يجلس عليه الناس، ورغم وضوح أن اللغز عن الكرسي إلا أن عينيه طوال الوقت تنظران إلى كرسي أمامه.

اللغة العالمية :

الملاحظات العامة التي لا تخص يوماً أو شهراً بعينه في السنة أضعها في آخر المفكرة، وقد وضعت في آخر مذكرة عام ١٩٥٧م كلمة **ESPERANTO** وهي كلمة تشير إلى محاولة إيجاد لغة عالمية يستطيع الناس أن يتفاهموا بها، ويتفادوا مشاكل اللغات والجهل بها. ولعل هذه السنة هي أول سنة أسمع فيها بهذه الكلمة، والفكرة التي وراءها، وأذكر أن الذي ذكرها لي وشرحها هو الزميل «جلبرت مورس». أذكر هذا جيداً.

ويبدو أن محاولة التغلب على أمر اللغات مشكلة تتكرر، فنادر شاه «السلطان» الذي اكتسح بلداناً كثيرة، وأحرز انتصارات مذهلة، دخل ضمن جيشه فئات تتكلم عدة لغات منها العربي ومنها الفارسي، ومنها الهندي، وغير ذلك، وأقلقه عدم معرفة فئة لغة الفئة التي تقاتل بجوارها، فأحضر عالم لغة عربي، وعالم لغة فارسي، وعالم لغة هندي، وقد يكون ضم إليهم غيرهم، وطلب أن تؤلف من هذه اللغات لغة تكون كلماتها قصيرة، وجملها وقواعدها سهلة ومبسطة بحيث يستوعبها الجند وتكون واسطة التفاهم بينهم في معسكراتهم، وكان المعسكر يسمى بلغتهم «الأردو» فسميت اللغة «أردو»، أخذاً من اسم المعسكر، ويبدو أن كلمة «أردو» انتقلت إلى العثمانيين، وإلى مصر حيث صارت تنطق «عرضي»، فمثلاً «عرضي» محمد

علي باشا، وضرب محمد علي «عرضيه» في الجيزة مثلاً، استعداداً للانطلاق لميدان القتال. وأتساءل أحياناً: يا تُرى هل اسم «العرضة» عندنا لها دخل بتلك!! أو أن هذا مني اقتناص النسور بالمقاليع!.

كتاب:

في نهاية إحدى صفحات هذه المفكرة سجلت كلمة عن مؤلف كتاب لم أسجله، وهو كتاب يختص بتربية الأطفال، واسم المؤلفة: «تشادويك».

مخطوطة:

كتبت كذلك في نهاية المفكرة اسم مخطوطة، رجعت إليها، ولها صلة برسالتي للدكتوراه، وهي الجزء الثاني من كتاب تاريخ محمد بن إبراهيم بن

شداد: «سيرة الملك الظاهر»، وهي مخطوطة في مكتبة «أدرنه» في تركيا ورقمها ١٥٠٧، وقد حصلت على صورة لها، وقد ساعَدَت هذه المخطوطة على سد النقص في كتاب ابن عبدالظاهرة عن بيبرس.

موضوع رسالتي للدكتوراه:

تبلور في هذا العام موضوع رسالتي للدكتوراه، وقد سجلته هنا في المفكرة بعد أو ووفق عليه:

A Critical Edition of an Unkown Arabic Source for the Life of Baibars with Introdaction, Translation and Notes.

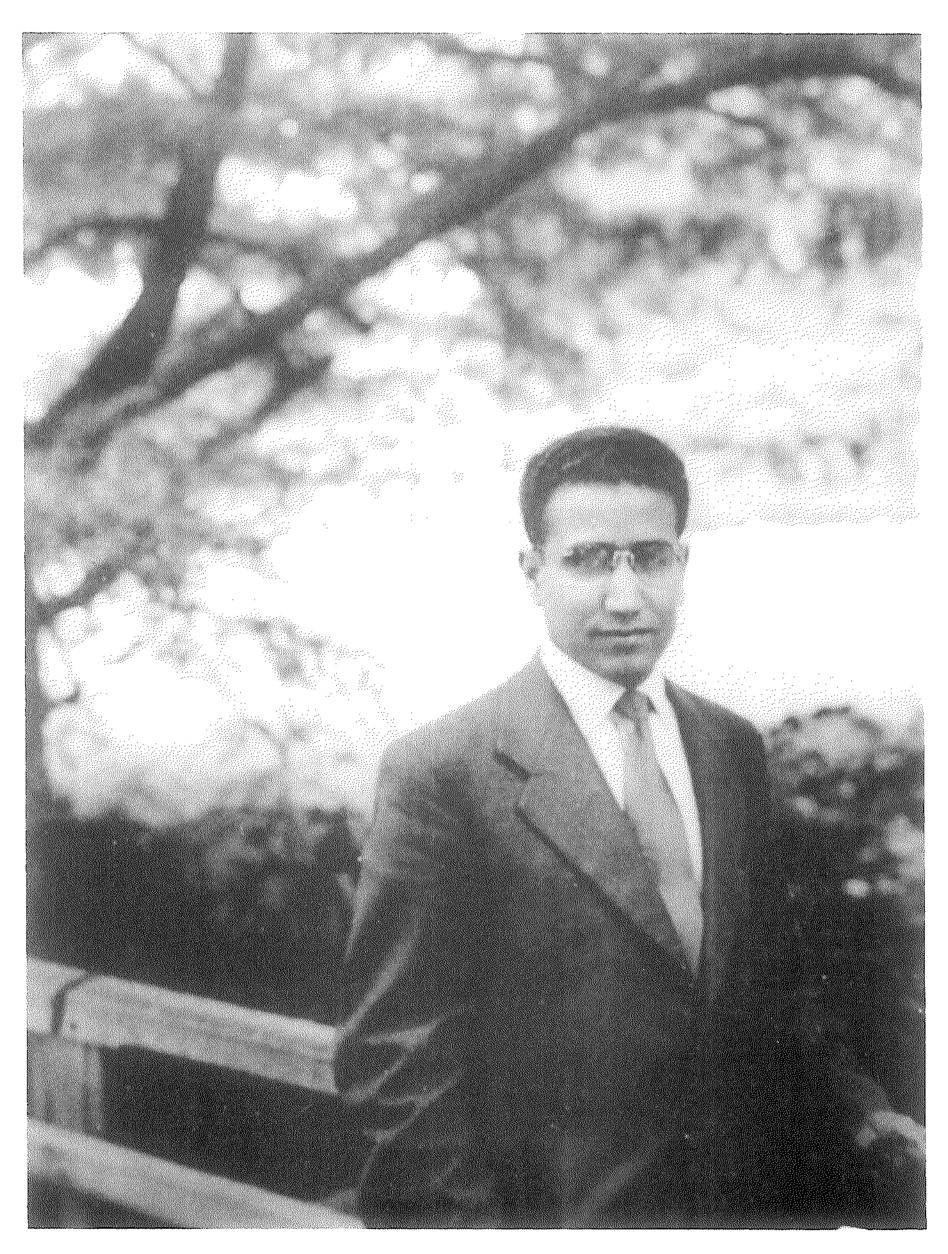
ختام هذه السنة:

ما ذكرته في الأوراق السابقة، هو ما وجدته مسجلاً برؤوس أقلام، ذكرني ببعض ما مرّ بي في هذه السنة في

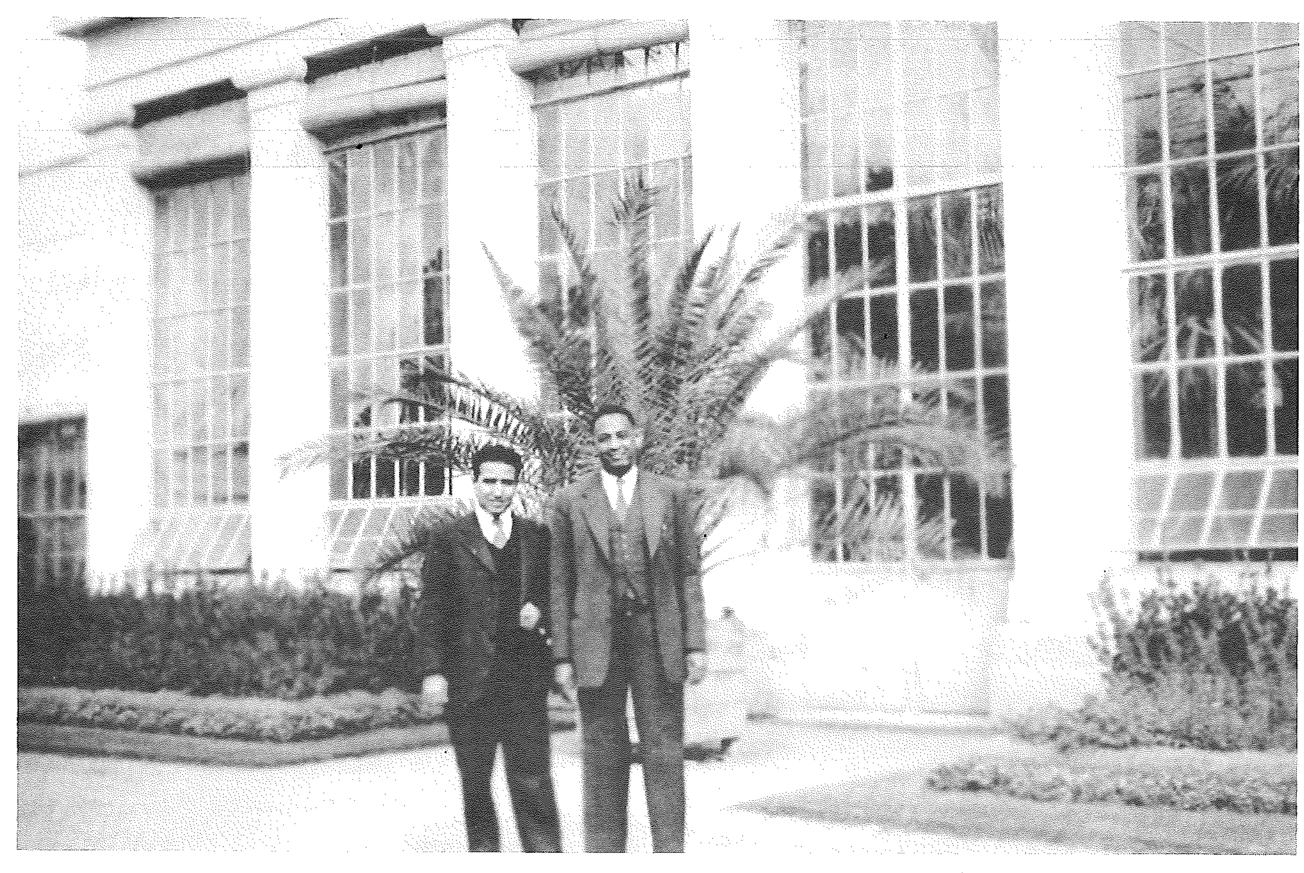
هذه البلاد، وهذه السنة تبدو مهمة بالنسبة لدراستي، ومعالم سيري واضحة في الحقائق المذكورة، ففيها انتهى امتحان المعادلة، وسجلت للدراسات العليا رسمياً، بدءًا بالماجستير، الذي حول فيما بعد إلى تسجيل للدكتوراه واخترت عنوان الرسالة، ووُوفق عليه، واستقر الإشراف بعد سفر البروفيسور «لويس» مع السيد «هارولد باون»، وتخلصت من تشتيت الفكر مع مواد التاريخ المهيئة لامتحان المعادلة، وكانت مفيدة إلا أنها كانت تأخذ وقتاً طويلاً.

***

صور إضافية



صورة لي في أغسطس ١٩٥٥م في حديقة تورز بفرنسا



صورة لي في أغسطس ١٩٥٥م في تورز في فرنسا مع الدكتور محمد المعتصم المجذوب



صورة أخرى في أغسطس ١٩٥٥م في تورز مع االأخ لدكتور محمد المعتصم المجذوب



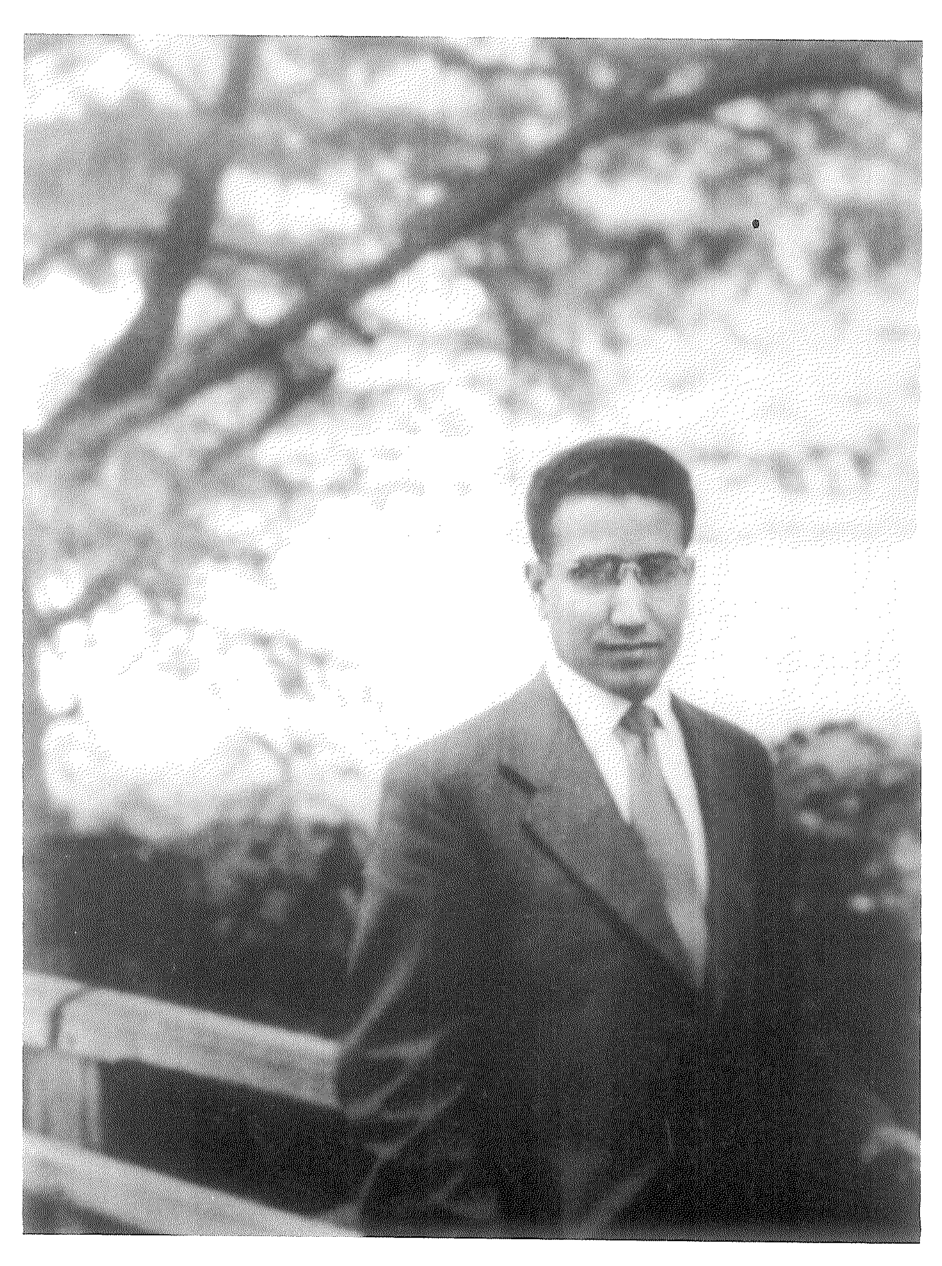
صورة للأخ لدكتور محمد المعتصم المجذوب في تورز أخذ في شهر في أغسطس ١٩٥٥م



صورة لي مع ابنة الأسرة التي أسكن معها في تورز، أخذت في أغسطس ١٩٥٥م



صورة أخذت لي في تورز في أغسطس عام ١٩٥٥م



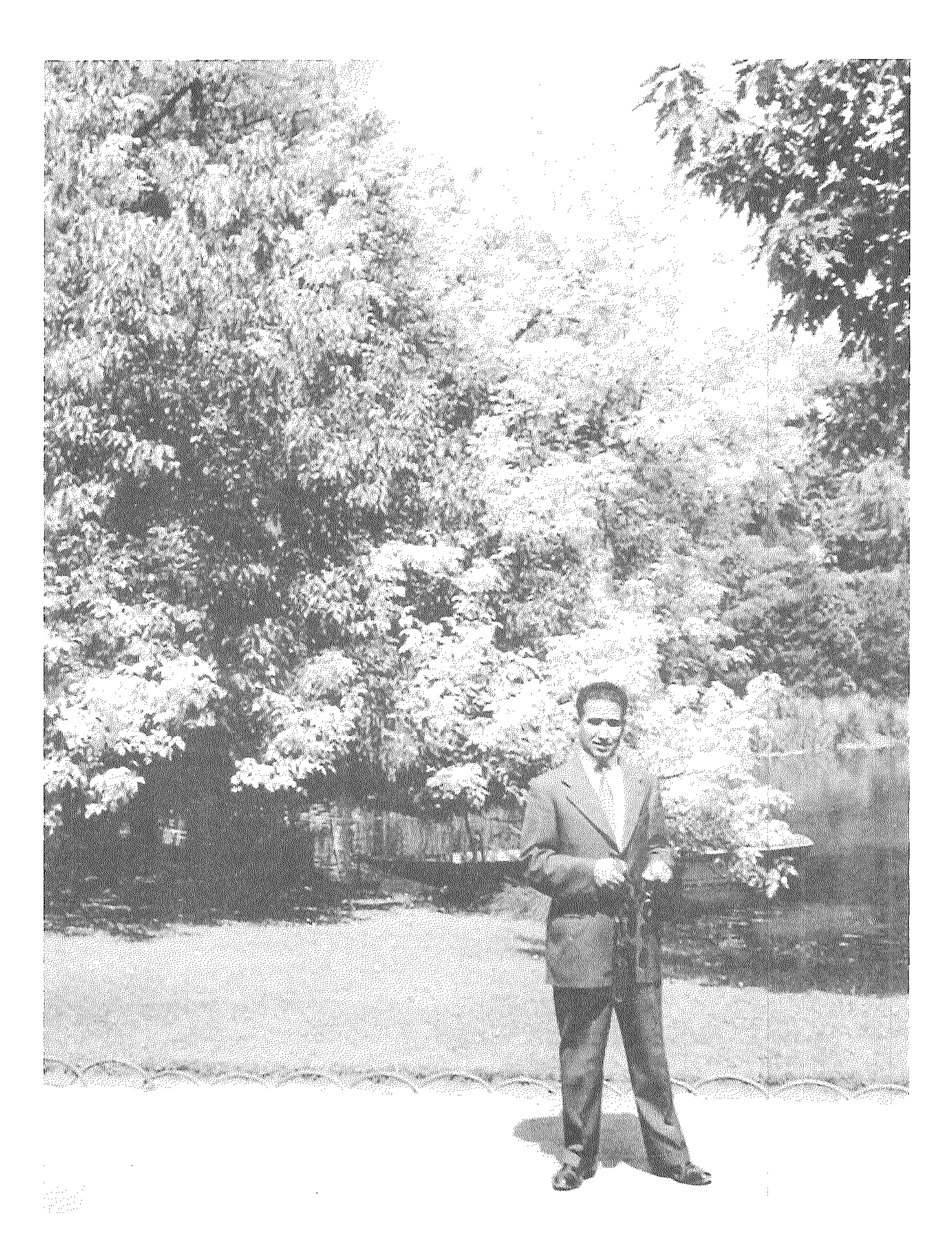
صورة لي في تورز في أغسطس عام ١٩٥٥م



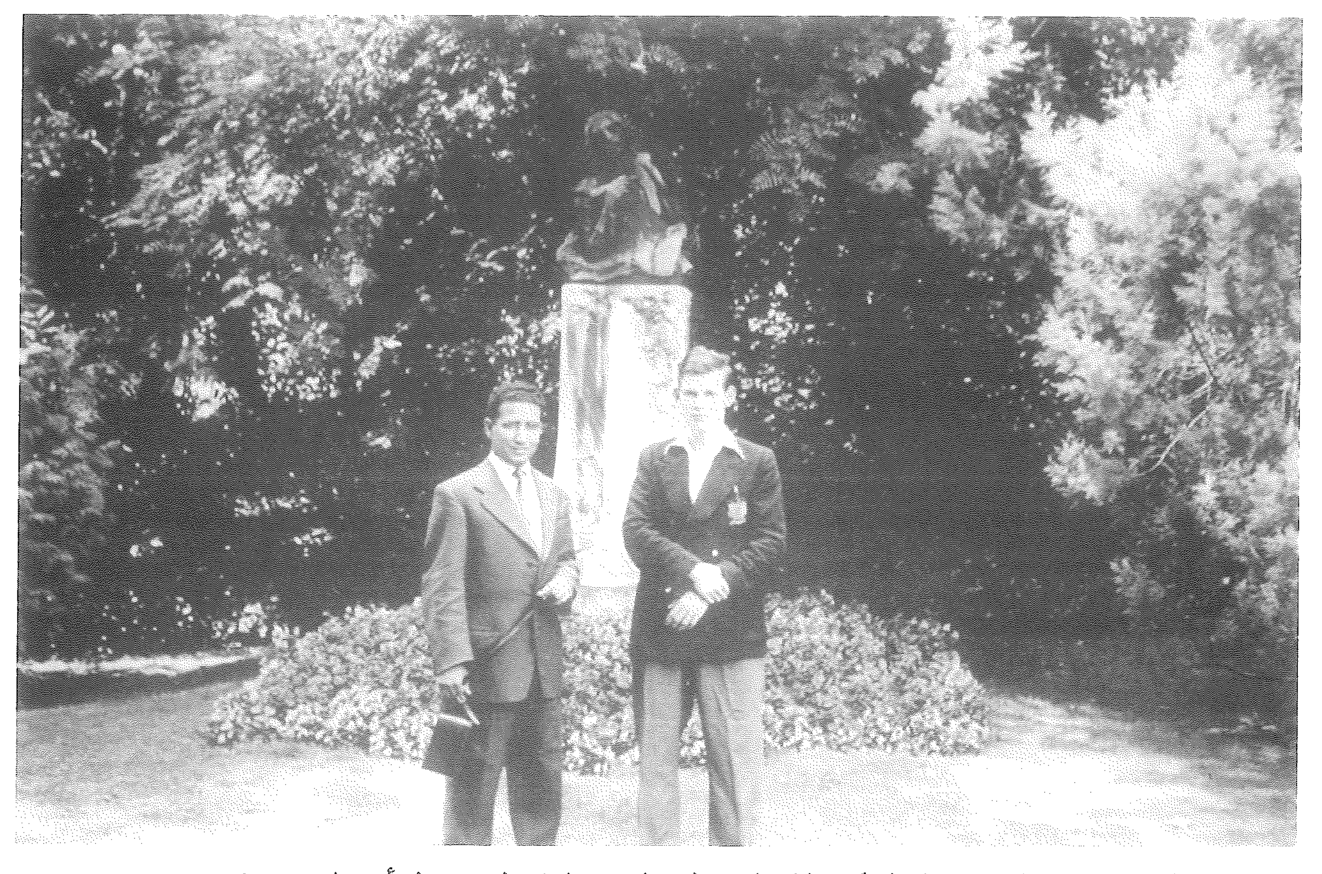
صورة لي في تورز في إحدى الحدائق في أغسطس ١٩٥٥م



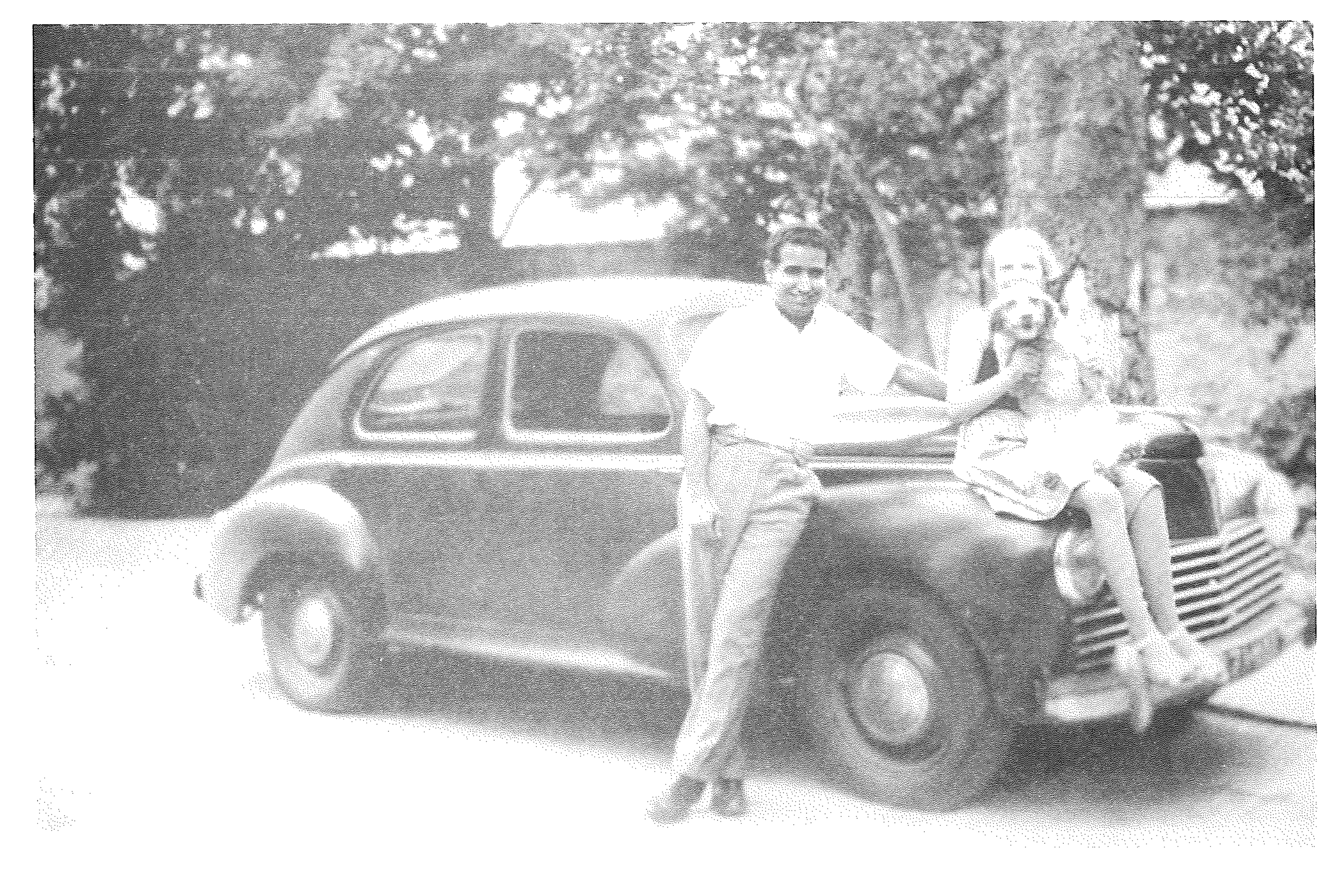
صورة لي في الحديقة العامة في تورز في أغسطس ١٩٥٥م



صورة لي في الحديقة العامة في تورز في أغسطس عام ١٩٥٥م



صورة لي مع زميل السكن الإنجليزي في الحديقة العامة في تورز في أغسطس ١٩٥٥م



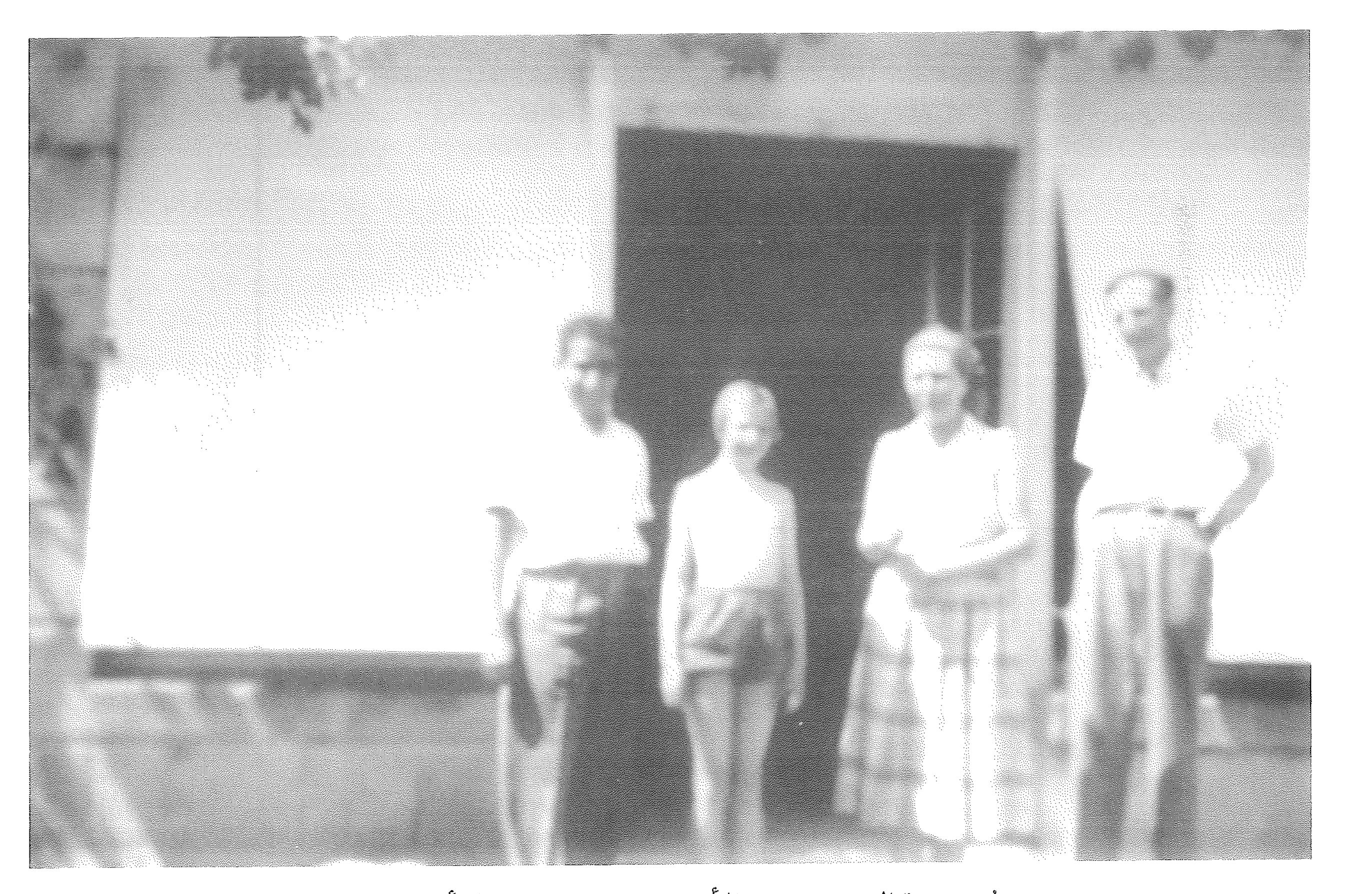
في حديقة البيت مع ابنة الأسرة التي أسكن معها، ومعها كلبها في أغسطس ١٩٥٥م، والسيارة سيارة الأسرة



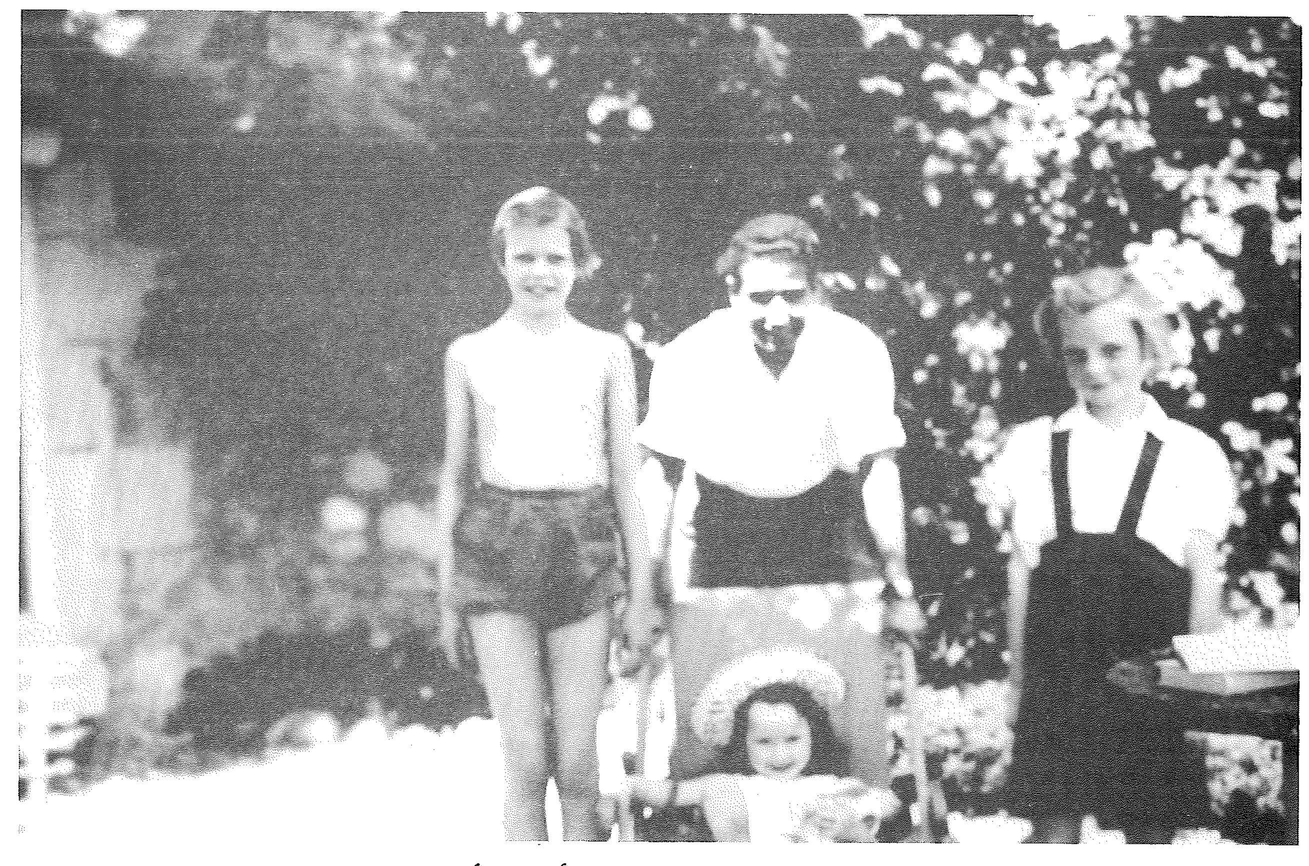
أمام البيت الريفي قرب تورز على النهر وقد أخرج الأثاث للتهوية.. أغسطس ١٩٥٥م



في حديقة البيت أمام ملحقات البيت مع ابنة الأسرة وكلبها في أغسطس ١٩٥٥م



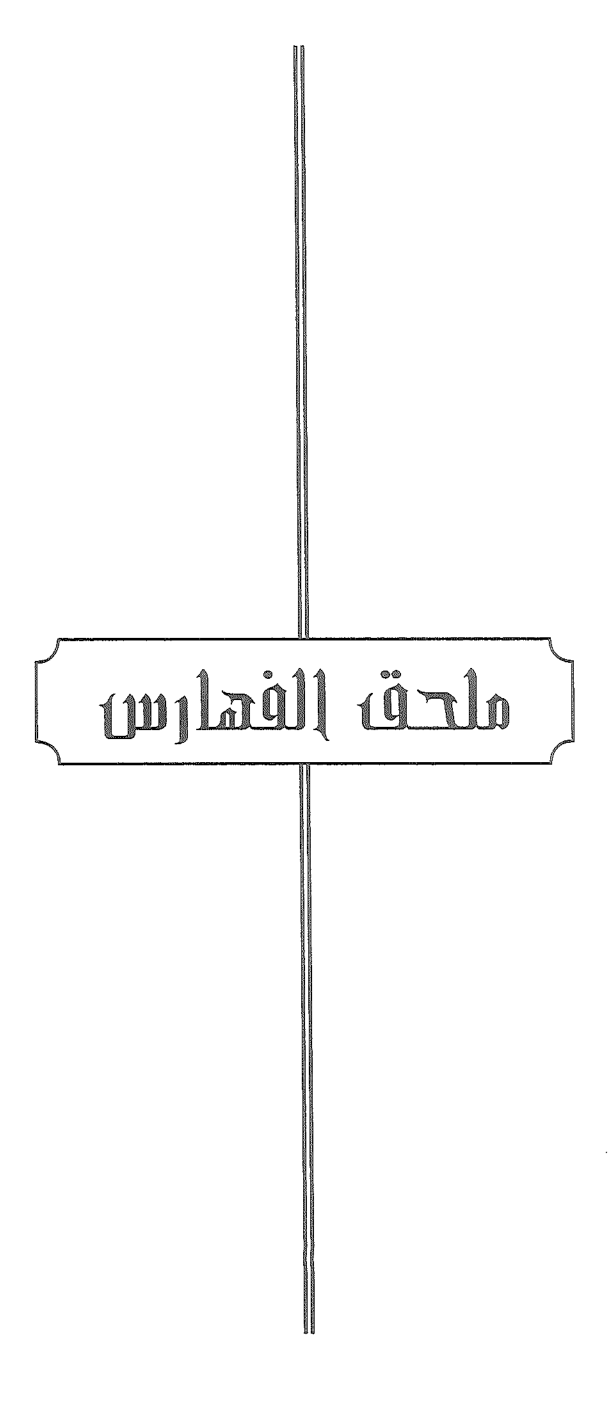
صورة في حديقة البيت مع رب الأسرة وزوجته وابنتها في أغسطس ١٩٥٥م



في جانب من الحديقة مع ثلاث من بنات الأسرة في أغسطس ١٩٥٥م



صورة (أخرى) لي في جانب من الحديقة العامة في تورز في أغسطس ١٩٥٥م


ملحق الفهارس

أولاً : فهرس الموضوعات

ثانيــاً : فهرس الأعلام

ثالثــاً : فهرس الأماكن

رابعاً : فهرس الصور

أولاً : فهرس الموضوعات

الموضـــوع	صفحة

الموضــــوع	صفحة

ثانياً: فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ش)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

***

ثالثاً: فهرس الأماكن

(أ)

(ب)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

***

رابعاً : فهرس الصور

رقم الصورة	رقم الصفحة	التعليـــــــق
١١	١٧٩	صورة تجمع كلاً من أخي حمد ومحمود السمرة وعبدالكريم الذكير
١٢	١٨٠	صورة لي مع الأخ عبدالرحمن أبانمي
١٣	١٨١	صورة للأخوة حمد الصقير علي اليمين ومحمد أبا الخيل وعبدالله القرعاوي في الإسكندرية
١٤	١٨٢	صورة لي مع الأخوين صالح الحمد الذكير وأخوه عبدالكريم
١٥	١٨٣	صورة للأخ عبدالله الحمد القرعاوي وأخي محمد في الإسكندرية
١٦	١٩٤	صورة لي مع الأخ صالح بابصيل في كيمبرج
١٧	٢١١	صورة للأخ الدكتور هاشم الدباغ أهديت لي في لندن
١٨	٢١٢	صورة للأخ الدكتور هاشم الدباغ أهديت لي في لندن
١٩	٢١٣	صورة للأخ الدكتور هاشم الدباغ في حديقة «هايدبارك»
٢٠	٢١٤	الدكتور هاشم الدباغ أمام قاعة «البرت هول» المشهورة
٢١	٢١٥	صورة لي مع الدكتور هاشم الدباغ وصالح نور
٢٢	٢١٦	صورة لي مع نايف ابن الدكتور هاشم الدباغ في شقتي في لندن
٢٣	٢١٧	صورة لي مع نايف ابن الدكتور هاشم الدباغ في شقتي في لندن

رقم الصورة	رقم الصفحة	التعليـــــــق
٢٤	٢٤٤	في شقة أسرة «موريس» ومعي ابنها ووالده وخلفي أحمد الهوشان
٢٥	٢٤٥	صورة لي مع ابن عائلة موريس» في حديقة «هايدبارك»
٢٦	٢٨٤	صورة لي مع الشيخ محمد المبارك الخليفة
٢٧	٢٨٥	صورة لي مع الإخوة نبيه عاقل، محمد السعدني، محمد المبارك الخليفة
٢٨	٢٨٦	صورة لي مع محمد السعدني، نبيه عاقل، محمد المبارك الخليفة
٢٩	٢٨٧	صورة لي مع ماكس كورت بتر، محمد المبارك، أحمد أبو حاكمه، وأحد الزملاء
٣٠	٢٨٨	صورة لي مع الأخ عبدالكريم رافق من سوريا في شقتي
٣١	٢٨٩	صورة أخرى لي مع الأخ عبدالكريم رافق معي في شقتي
٣٢	٢٩٠	صورة للدكتور محمود السمرة في شقتي
٣٣	٢٩٣	صورة لي مع الأستاذ صالح نور من السودان
٣٤	٢٩٤	صورة للأخ صالح نور من السودان
٣٥	٣٠٦	صورة لي مع الأخوين أحمد الهوشان وعبدالخالق قاضي
٣٦	٣٠٧	صورة للأخوين أحمد الهوشان وعبدالخالق قاضي في لقطة فكهة
٣٧	٣٠٨	لقطة فكهة للأخ أحمد الهوشان وهو يجهز عليَّ على جسر لندن

رقم الصورة	رقم الصفحة	التعليـــــق
٣٨	٣٠٩	صورة للأخوين أحمد الهوشان ومحمد السويلم في باخرة
٣٩	٣١٩	صورة لي في أغسطس ١٩٥٥م في حديقة تورز بفرنسا
٤٠	٣٢٠	صورة لي في تورز مع الدكتور محمد المعتصم المجذوب
٤١	٣٢١	صورة أخرى في تورز مع الدكتور محمد المعتصم المجذوب
٤٢	٣٢٢	صورة للأخ الدكتور محمد المعتصم المجذوب في تورز
٤٣	٣٢٣	صورة لي مع ابنة الأسرة التي أسكن معها في تورز
٤٤	٣٢٤	صورة لي في تورز
٤٥	٣٢٥	صورة أخرى لي في تورز
٤٦	٣٢٦	صورة لي في تورز في إحدى الحدائق
٤٧	٣٢٧	صورة لي في الحديقة العامة في تورز
٤٨	٣٢٨	صورة لي في الحديقة العامة في تورز
٤٩	٣٢٩	صورة لي مع زميل السكن الإنجليزي في الحديقة العامة
٥٠	٣٣٠	صورة لي في حديقة البيت مع ابنة الأسرة التي أسكن معها
٥١	٣٣١	أمام البيت الريفي قرب تورز على النهر
٥٢	٣٣٢	صورة لي مع ابنة الأسرة في حديقة البيت أمام الملحقات

رقم الصورة	رقم الصفحة	التعليـــــــق
٥٣	٣٣٣	صورة لي مع رب الأسرة وزوجته وابنتهما في حديقة البيت
٥٤	٣٣٤	صورة لي مع ثلاث من بنات الأسرة في جانب من حديقة البيت
٥٥	٣٣٧	صورة أخرى لي في جانب من الحديقة العامة في تورز ***

كتب صدرت للمؤلف

* نشر عام ١٣٩٠هـ كتاب: الشيخ أحمد المنقور في التاريخ.
* ألَّف عام ١٣٩٠هـ كتاب: «عثمان بن بشر».
* ألَّف عام ١٣٩٥هـ كتيب: «في طرق البحث».
* طبع في عام ١٣٩٦هـ كتابه عن الملك «الظاهر بيبرس» باللغتين العربية والإنجليزية.
* حقق عام ١٣٩٦هـ كتاب: «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر» ونشره.
* حقق كتاب: «حسن المناقب السريّة المنتزعة من السيرة الظاهرية» لشافع ابن علي، ونشره عام ١٣٩٦هـ.
* من حطب الليل: الطبعة الثانية عام ١٣٩٨هـ، والثالثة عام ١٤٢٥هـ.
* ألَّف عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م كتاب: «قراءة في ديوان محمد بن عبدالله بن عثيمين».
* ألَّف بين عامي ١٤٠٩ و ١٤١٤هـ كتاب: «أي بُني» في خمسة أجزاء.
* ألَّف منذ عام ١٤١٤هـ كتاب: «إطلالة على التراث» سبعة عشر جزءًا.
* ألَّف عام ١٤١٨هـ كتاب: «يوم وملك».
* ألَّف عام ١٤١٩هـ كتاب: «ملء السلة من ثمر المجلة».
* ألَّف عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠١م حديث الركبتين.
* ألَّف عام ١٤٢٤هـ كتاب: «لمحة من تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية».
* ألَّف عامي ١٤٢٥هـ و ١٤٢٨هـ جزأين من كتاب: «دمعة حرى».
* ألَّف بين عامي ١٤٢٦ و ١٤٢٨هـ كتاب: «وسم على أديم الزمن - لمحات من الذكريات».. الأجزاء من الأول وحتى الثامن.
* ألَّف عام ١٤٢٨هـ/ ١٤٢٧م كتاب: «بعد القول قول».
* ألَّف عامي ١٤٢٧هـ و ١٤٢٨هـ جزأين من كتاب: «رصد لسياحة الفكر».
* ألَّف عام ١٤٢٨هـ كتاب: «السلام عليكم».

• نبذة عن المؤلف •

- ولد عام ١٣٤٤هـ في مدينة عنيزة في القصيم في المملكة العربية السعودية .
- جزء من دراسته الابتدائية بعنيزة وجزء منها والثانوية في مكة المكرمة .
- حصل على الليسانس من دار العلوم في جامعة القاهرة عام ١٣٧١هـ .
- حصل على الدكتوراة في التاريخ من جامعة لندن عام ١٣٨٠هـ .
- عين في العام نفسه أميناً عاماً لجامعة الملك سعود .
- عين وكيلاً للجامعة عام ١٣٨١هـ حتى عام ١٣٩١هـ .
- درس تاريخ المملكة العربية السعودية لطلاب كلية الآداب .
- انتقل منها رئيساً لديوان المراقبة العامة مدة عامين ثم وزيرا للصحة ثم وزيراً للمعارف .
- عين في عام ١٤١٦هـ وزير دولة وعضواً في مجلس الوزراء .

مطبعة سفير تليفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ الرياض

• هذا الكتاب •

في هذا الجزء من هذه السلسلة من الأجزاء يتكلم المؤلف عن انتقاله من مصر إلى الدراسة في لندن، ويصف فيه تلمسه للسير في هذه الحضارة الغربية الغريبة عليه، وكيف تأقلم معها، ومتى، وكيف، والخطوات التي مر بها إجرائية أو نفسية ليلتحق بجامعة لندن لدراسة الدكتوراه في التاريخ، والتي حصل عليها في عام ١٩٦٠م



ردمك : ٧-٤٠٩-٥٧-٩٩٦٠